بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ للهِ ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد الأمين ، وعلى آله الأطهار ، وصحبه الابرار وبعد :

فهذا بحث أردت فيه ، أن أدرس جوانب الدرس الصوتي التي أورَدَها الزجاج (٣١١هـ) في كتابه (معاني القرآن واعرابه) وأن أتبيّنَ موقعها في الدراسات الصوتية عند من سبقه من علماء العربية ؛ لأخلص إلى إيضاح أهميتها في البحث الصوتي عند العرب القدماء ، وعرض رأي الدراسة الحديثة فيها .

وقد حفزني إلى كتابة هذا البحث : أن معاني القرآن للزجاج في أجزائه الخمسة عرض لمسائل صوتية كثيرة في أثناء تفسيره اللغوي ، للألفاظ القرآنية التي أنتخبها من سور القرآن الكريم ، وثمة سبب آخر لاختيار هذا الموضوع يكمن في أن أكثر الدراسات التي تناولت هذا الأثر القيم عنت بالجانب النحوي في معاني الزجاج ؛ لأنه كتاب أعراب ومعنى كما ذكر صاحبه في مقدمته الموجزة ، وبحسب اطلاعي ، فإن الدراسة الصوتية عند الزجاج وغيره من العلماء الذين ألفوا في معاني القرآن كأبي عبيدة (٢١١هـ) والفراء (٢٠٧هـ) والأخفش (٢١٥هـ) والنحاس (٣٣٨هـ) وغيرهم ممن لم يصل إلينا مؤلفاتهم ، وقد حملت عنوان ((المصطلح الصوتي في كتب معاني القرآن)) للدكتور خالد حازم الحديدي ، والباحث استضاء بما قدمته هذه الدراسة القيّمة في كشف جوانب الدرس الصوتي عند الزجاج، غير أن دراسة الدكتور خالد لمؤلفات عدةً فرضت عليه انتقاء النصوص التي تريد فيها المصطلحات بشكل موجز ، لبيان مفاهيمها عند كل عالم دخل في دراسته ، وكان نتيجة ذلك ترك نصوص صوتية كثيرة في معاني الزجاج ومعاني النحاس ؛ ولرغبة الباحث في اتمام دراسة البحث الصوتي عند الزجاج في معانيه بشكل شامل من جهة المنهج ، وبيان مصادر دراسته الصوتية ومصطلحاته ، وبيان مخارج اصوات العربية عنده وصفاتها وصولاً الى دراسة الظواهر الصوتية التعاملية في معاني الزجاج من ادغام وابدال وهمز واتباع وإمالة ، وغيرها من الظواهر الصوتية الناشئة من تأثر الأصوات بعضها ببعض في السلسلة الكلامية .

وقد قام البحث بعد المقدمة على تمهيد ومبحثين تلاهما خاتمة ، في التمهيد عرفت بحياة الزجاج بإيجاز ، لشهرته اولاً ولتكفل من سبقني في دراسة الزجاج وجهوده في النحو واللغة بهذا الأمر ثانياً ، ثم درستُ المنهج الصوتي في معاني الزجاج مُبيّناً مواضع الدراسة الصوتية عنده ، ومصادر درسه الصوتي ومصطلحاته ، وفي المبحث الأول المعنون بـ(مخارج الأصوات وصفاتها) عرض الباحث وصف الزجاج لما ذكرَهُ من مخارج الأصوات وصفاتها ، والمبحث الثاني كان في الظواهر الصوتية التعاملية التي أوردها الزجاج في معانيه ، وقد عنى الباحث بالظواهر المعللة صوتياً منها ، لإعطائها وصفاً لمخارج الأصوات وصفاتها عند بيان علل حصولها في أبنية الصيغ وأهمها :

الإبدال والإدغام والهمز في الصوامت ، والإتباع والإمالة في المصوتات ، ثم ختمت البحث بخاتمة عرضتُ فيها النتائج المهمة التي خلص إليها البحث .

وقد استقى البحث مادته في دراسة البحث الصوتي عند الزجاج في معانيه من موارد متنوعة منها مصدر الدراسة نفسه ، وكتب معاني القرآن التي سبقته في التأليف ، ومظان القراءات القرآنية ، وكُتُب المجوّدين ، ومصادر النحو والصرف واللغة فضلاً عن دراسات الأصواتيين المحدثين .

والله عز وجل أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقبله بقبول حسن ، إنه سميع الدعاء .

الباحث

التمهيد :

في الزجاج ومعانيه من الجانب الصوتي :

سأورد في التمهيد تعريفاً موجزاً بحياة الزجاج ، لتجنب تكرار ما ذكرته الدراسات التي سبقتني في دراسة هذا العالم الجليل وكتابه الجم الفائدة (معاني القرآن وإعرابه) وفي المحور الثاني من التمهيد سأتكلم في منهج الزجاج في دراسته لأصوات العربية منفردة من جهة المخرج والصفات ، أو في اثناء تركيبها مع غيرها من الأصوات في أبنية الفاظ القرآن الكريم التي أختار الزجاج بيان معانيها واعرابها ، ثم أقف على أهم مصادر بحثه الصوتي ومصطلحاته الصوتية .

أولاً : التعريف بالزجاج

هو أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج النحوي ، ولقبه من حرفة خراطة الزجاج التي عمل بها في أول حياته ، ونُسِبَ إليها ، وقد ولد في بغداد سنة (٢٣١هـ) على الأرجح ، وتوفي فيها سنة (٣١١هـ) .

والزجاج درس علوم العربية على شيخ المدرسة البصرية في عصره : أبي العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) وشيخ المدرسة الكوفية : أبي العباس : احمد بن يحيى ثعلب (٢٩١هـ) والزجاج في معانيه أفاض في ذكر المبرد غير أنه لم يذكر ثعلباً إلا في مواضع قليلة ، ولعل ذلك يرجع الى نزعته البصرية [١] ، ومن شيوخ الزجاج : إسماعيل بن اسحاق بن حماد القاضي المكنى بأبي اسحاق ، وقد ذكره في مواضع كثيرة في معانيه ، بل انه صرح بأن ابا اسحاق والمبرد هما شيخاه [٢] وفي التفسير صرح الزجاج بانه اعتمد كثيراً في معانيه على تفسير أحمد ابن حنبل الذي أخذه عن طريق ابنه عبد الله بن احمد بن حنبل [٣] وكذلك تفسير ابن عباس الذي عَدّه من أوثق التفاسير[٤] .

وهؤلاء الشيوخ أخذ عنهم علوم العربية والقراءات القرآنية والتفسير ، وقد اخذ عنه الكثير من طلبة العلم ومن أبرزهم : ابن السراج البغدادي (٣١٦هـ) وابن ولاد المصري (٣٣٢هـ) وابو القاسم الزجاجي (٣٣٧هـ) وابو جعفر النحاس (٣٣٨هـ) وابو علي القالي (٣٥٦هـ) وابو علي الفارسي (٣٧٧هـ) وغيرهم [٥] .

لقد أتسم الزجاج بثقافة متنوعة ذات مصادر عدة ، لازدهار الحركة العلمية في عصره في جوانب اللغة والنحو والقراءات القرآنية والحديث الشريف والفقه والتفسير والنوادر وغيرها ، وقد انتهى إليه علم البصريين والكوفيين ، بعد ان أخذ علمه عن المبرد وثعلب ، غير أنه آثر المذهب البصري وانتهت إليه رئاسته بعد وفاة شيخه المبرد[٦].

وقد ترك لنا الزجاج مؤلفات كثيرة في مختلف علوم العربية وعلوم القرآن والتفسير ، تعد شاهداً حياً على سعة معرفته وغزارة علمه منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط ، وثالث مفقود ، وقد أحصاها الدكتور محمد صالح التكريتي (رحمه الله) ، والدكتور سعدون أحمد علي في دراستهما للزجاج لمن يريد الاطلاع عليها [٧].

ثانياً : معاني القرآن للزجاج من الجانب الصوتي

في هذا المحور سأدرس مواضع المادة الصوتية في معاني الزجاج ، ثم أُبيّن ملامح الدرس الصوتي عنده ، وطريقة معالجة الزجاج للظواهر الصوتية في ألفاظ القرآن الكريم التي أختار تفسيرها من الجانب اللغوي ، مع تسليط الضوء على مصادره في الدرس الصوتي . وقبل الكلام في المباحث الصوتية عند الزجاج ،لابد من التعريف بكتب معاني القرآن ، ومنها الكتاب المدروس ، ليكون القارئ على معرفة بهذا النوع من التأليف ، وليقف على المنهج العام الذي سارت عليه، فكتب معاني القرآن مؤلفات صنفها أصحابها ، لبيان معاني آيات الكتاب المبين وكشف مشكلاتها اللغوية والنحوية والصرفية والصوتية وأوجه التفسير فيها ، وشرح غوامض ألفاظها وغريب مفرداتها، وإزالة اللبس في تعارضها ومتشابهها ، وهي تأخذ بمبدأ الانتخاب فيما تريد أن تبحث فيه من الموضوعات والمسائل[٨] .

والزجاج أخذ بهذا المنهج في معانيه ، وحاكى فيه من سبقه من علماء العربية ممن ألف في معاني القرآن كأبي عبيدة (٢١٠هـ) والفراء (٢٠٧هـ) والأخفش الأوسط (٢١٥هـ) وغيرهم ممن لم تصلنا مؤلفاتهم في هذا النوع من التأليف ، إذ درس السور المباركة بحسب ورودها في القرآن الكريم فبدأ بسورة الفاتحة وانتهى بسورة الناس ، والتزم مبدأ الانتخاب من آيات السور المدروسة من غير مراعاة الترتيب فيها ، إذ يأخذ من الآية الأولى أو الثالثة أو الخامسة أو الثامنة وهكذا على وفق ما يختاره من ألفاظ في الآيات التي يرى انها مشكلة او غريبة ، تحتاج الى تفسير وبيان .

وسمات منهج الزجاج يمكن للقارئ ملاحظتها عند قراءة معانيه بدقة وتأني ، لان الزجاج قدّمَ لكتابه بمقدمة موجزة جداً ، لم يذكر فيها رواية الكتابة ولا سبب تأليفه الكتاب ، ولعله فعل ذلك على قول محقق الكتاب قربة الى الله عز وجل أو إجابة لرغبة بعض تلاميذه [٩].

ومعاني الزجاج يمثل قمة النضج الفكري والتمكن اللغوي للزجاج ، فأودعه جُلَّ ما استخلصه من علوم اللغة بفروعها المختلفة ، وما توصل إليه من آراء لغوية أنفرد بها ، إذ روي أن مدة تأليف معاني القرآن للزجاج استغرقت ستة عشرة عاماً من سنة ٢٨٥هـ واتمّه سنة ٣٠١هـ [١٠] .

وفي معاني الزجاج اهتمام كبير بالنحو والاعراب والمعاني ، وهذا ما أشار إليه في مقدمته الموجزة في قوله : " هذا كتابٌ مختصرٌ في اعراب القرآن ومعانيه ، وأسأل الله التوفيق في كل الأمور" [١١] ويلاحظ أن الزجاج في هذه المقدمة أورد تسمية أخرى للكتاب هي (اعراب القرآن ومعانيه) مقدماً الاعراب على المعاني ، ولم يخلُ من علوم اللغة الاخرى فَضَمَ الكثير من المسائل الصرفية والصوتية واللهجات العربية التي عكست تنوع القراءات القرآنية في معاني الزجاج بين المشهورة والشاذة ، ووجدت أن الزجاج عنى بالظواهر الصوتية الناشئة من تأثر الاصوات بعضها ببعض في تركيب أبنية ألفاظ القرآن الكريم ، وأكثر كلامه في الظواهر الصوتية التعاملية كان في الادغام والابدال ثم الهمز والامالة والاتباع وغيرها من الظواهر الصوتية ، كما سنلاحظ ذلك في المبحث الثاني من هذا البحث ان شاء الله تعالى .

أما ما يخصُّ منهجه في البحث الصوتي ، فقد وجدت الزجاج يوافق الخليل (١٧٥هـ) وسيبويه (١٨٠هـ) في أكثر المسائل الصوتية ، سواء أكانت متعلقة بمخارج الاصوات وصفاتها أم المتعلقة منها بالظواهر الصوتية التعاملية في السلسلة الكلامية.

والزجاج في معانيه لم يخصص كلاماً مستقلاً في مخارج الأصوات وصفاتها كما فعل من سبقه من علماء العربية كالخليل وسيبويه والمبرد ، بل جاء كلامه فيها عرضاً عند تعليل حصول حالات الابدال والادغام ، وبيان العلاقة الصوتية بين الأصوات المؤثرة والمتأثرة في هذين الظاهرتين ، وتكلم في الهمزة واصوات المد (المُصوتات) في اثناء كلامه على ظواهر الهمز والامالة والاتباع وغيرها .

والزجاج أكثر موافقة لسيبويه في دراسة الأصوات من غيره من علماء العربية ، إذ سارَ على منهجه في تحديد مخارج أصوات العربية وبيان ما ذكره من صفاتها ، وقد استعمل مصطلحاته في بحثه الصوتي [١٢] ، ويلاحظ ذلك في توجيه جواز ادغام التاء في الطاء في قوله عز وجل : ﴿ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٣١] إذ حدد مخرجهما بقوله " المعنى : يتطيّروا ، فأدغمت التاء في الطاء ، لأنهما من مكان واحد من طرف اللسان واصول الثنايا " [١٣] .

وقد وصف سيبويه مخرج الطاء والتاء والدال بالوصف نفسه [١٤] ، غير أن الزجاج تفرّد باستعمال مصطلح (المكان) بدل (المخرج) عند سيبويه ، ولا يعني ذلك أن الزجاج لم يستعمل مصطلح المخرج بل انه استعمل المخرج والموضع كذلك للدلالة على موضع خروج الصوت من أعضاء آلة الصوت [١٥] .

وفي تعريف الصفات الصوتية ، ذكر الزجاج تعريف سيبويه للصوت المجهور[١٦] ، في كلامه على أدغام التاء في الذال في قوله عز وجل ﴿ تَدَّخِرُونَ ﴾ [آل عمران: ٤٩] إذ قال : " وأصله تذتخرون أي تفتعلون من الذخر ؛ لأن الذال حرف مجهور ، لا يُمكن النفس ان يجري معه ؛ لشدة اعتماده في مكانه ، والتاء مهموسة فأُبدِلَ من مخرج التاء حرف مجهور يشبه الذال في جهرها ، وهو الدال فصار تذدخرون ثم ادغمت الذال في الدال .... " [١٧] وأصدق دليل على شدة تأثره بسيبويه تصريحه بأن ما ذكرَهُ من توجيه صوتي للقراءات القرآنية في معانيه ، انما اعتمد فيه على ما جاء في آخر كتاب سيبويه ، وهو موضع الدرس الصوتي في كتاب سيبويه المحكم لعلوم العربية وأصولها قال الزجاج في تعليل ابدال التاء دالاً ؛في قوله عز وجل : ﴿ مُزْدَجَرٌ ﴾ [القمر: ٤] " وانما ابدلت دالاً ؛ لأن التاء مهموس والزاي مجهور ، فأبدل من التاء من مكانها حرف مجهور وهو الدال فهذا لا يفهمه إلا من أحكم كل العربية ، وهذا في آخر كتاب سيبويه " [١٨] ، والنص يدل كذلك على أنه بصري المذهب على الرغم من أنه من نحاة بغداد ، وقد اشار الى ذلك في مواضع عدة من معانيه[١٩] ، ولشدة تمسك الزجاج بأصول المدرسة البصرية ، وجدناه فتح باباً غير محمود ، وهو تخطئة القراء ممن لا يوافق في قراءتهِ اصول البصريين وقواعدهم النحوية واللغوية ، ففي مسألة ادغام الراء في اللام في نحو قوله عز وجل :﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١] انتقد أبا عمرو لجوازه ادغام الراء في اللام؛ لأن سيبويه فضَّلَ الاظهار على الادغام ، لقوة الراء بالتكرار الذي فيها [٢٠] وهذا التأثر بسيبويه شجّعه على وصف قراءة

ابي عمرو في ادغام الراء في اللام بالخطأ الفاحش إذ قال : " القراءة بإظهار الراء مع اللام ، وزعم بعض النحويين : أن الراء تدغم في اللام ... وهذا خطأ فاحش ولا أعلم احداً قرأ به غير أبي عمرو بن العلاء " [٢١] ولعل قصد بـ(بعض النحويين) الكسائي والفراء ، إذ عُزي إليها جواز ادغام الراء في اللام في مثل هذا الموضع [٢٢] .

وفي موضع آخر وصف قراءة عاصم قوله تعالى : ﴿ نُـجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٨] بنون واحدة (نُجَي)" بالخطأ [٢٣] ، والقراءة سنة متبعة لا تحمل على قياس العربية ، فلا يجوز تخطئة القراء لمخالفتهم أقيسية العربية .

والزجاج أورد في معانيه الكثير من القراءات القرآنية المشهورة والشاذة ، غير أنه كان لا يعزوها الى أصحابها في مواضع كثيرة وخصوصاً الشاذة ، ونسب القراءة المشهورة في حال وقوع إشكال أو خلاف فيها ، كما أشرت آنفاً الى مسألة ادغام الراء في اللام على قراءة أبي عمرو بن العلاء ، وكذلك ترك همزة (البرّية) لكثرة الاستعمال على قراءة أكثر القراء إلا نافعاً خالف الاجماع وقرأها (البريئة) بالهمز [٢٤] ورأيت الزجاج يأخذ بالقراءة الشاذة ، ويصفها بالجودة ، ومثال ذلك إقراره بجواز ادغام الكاف في القاف ادغاماً تاماً في قوله تعالى : ﴿ بِوَرِقِكُمْ ﴾ [الكهف: ١٩] وهي قراءة ابن محيصن [٢٥] .

وكثيراً ما كان الزجاج يميل الى موافقة خط المصحف في تعليله للقراءات المتعددة الأوجه مثل قراءة ﴿ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران: ٢] ؛ إذ رويت فيها (القَيّام) وهي مروية عن عمر وابن مسعود (رضي الله عنهما) و(القَيّم) المروية عن علقمة بن قيس ، وهي من الشواذ [٢٦] ، وقد نبَّه الزجاج على وجوب اتباع خط المصحف في مثل هذا الموضع بقوله :" والذي ينبغي ما عليه المصحف .... لأن المصحف مجمع عليه ، ولا يعارض الاجماع برواية لا يعلم كيف صحتها؟"[٢٧].

وترى الزجاج عند تعدد القراءات في اللفظة القرآنية يختار منها الوجه المقبول عنده ، كاختياره تخفيف الهمزة في قوله عز وجل : ﴿ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة: ١٤] بين الهمزة والواو وترك التخفيف بالبدل والحذف [٢٨] .

ومن سمات منهج الزجاج في عرض المسائل الصوتية التكرار في المسائل المختلف فيها ، للاهتمام بها ، ومنها ادغام الراء في اللام فقد ذكرها في أربعة مواضع [٢٩] .

ومنها تحقيق الهمزتين في (أَئِمة) أو تخفيف ثانيهما ، إذ أوردها في موضعين [٣٠] ، ومنها الامالة في كلمة (النار) في حالة الجر على أصل ابي عمرو بن العلاء في إمالة الألف قبل الراء المكسورة ، لأن الراء حرف مكرر والكسرة فيه كأنها كسرتان [٣١].

مما تَقَدّم يُمكن تلخيص أهم سمات المنهج الصوتي عند الزجاج في معانيه بالآتي :

١ – إن المسائل الصوتية وجدت مبثوثة في معاني الزجاج ومختلطة مع غيرها من المسائل النحوية واللغوية والصرفية .

٢ – وجدتُ ان الزجاج ربما يكون الأكثر اهتماماً بالظواهر الصوتية من بين من سبقَهُ في التأليف في معاني القرآن ، ممن وصل إلينا مؤلفاتهم كالفراء وابي عبيدة والأخفش الأوسط ، فقد أحصيتُ له أكثر من مئة موضع في الدراسة الصوتية ، توزعت على طواهر الادغام والابدال والهمز والامالة والاتباع وغيرها .

٣ – إن جوانب الدرس الصوتي عند الزجاج غير متكاملة ؛ لأنه لم يُفَصّل الكلام في مخارج الأصوات وصفاتها بشكل كامل ومستقل بل عنى بالظواهر الصوتية التعاملية ، وحدد مخارج الأصوات الأكثر تأثراً وتأثيراً بغيرها من أصوات العربية عند وقوع هذه الظواهر في التشكيل الصوتي ، فالزجاج أهتم بوصف مخارج اللسان لكثرة وقوع التغيّرات الصوتية فيها مثل المجموعة اللثوية (ل– ر – ن) واللثوية الأسنانية (ط– د – ت) و (ص– ز – س) والاسنانية (ذ– ظ – ث) فضلاً عن حالات الهمز واصوات المد واللين وحالات الاعلال فيها ، وإمالة الألف وتفخيمها .

٤ – إنّ الزجاج في معانيه سار على منهج الدرس الصوتي البصري ، وقد رَدَّ في بعض المسائل الصوتية آراء الكسائي والفراء ، وقد صرّح فيما نقلنا عنه أنه أحكم توجيه حالات الابدال والادغام بالاعتماد على كتاب سيبويه ، وأخذ التفسير اللغوي للألفاظ القرآنية المنتخبة عنده من استاذ سيبويه الخليل ، وقد ورد في معانيه مالا يحصى من المواضع يأخذ عن الخليل وسيبويه ويذكرهما مقترنين معاً في مسائل النحو واللغة والصرف والصوت في أجزاء معانيه الخمسة .

المبحث الاول :

مخارج الأصوات وصفاتها

سأقدم في هذا المبحث وصفاً مفصلاً لما ذكره الزجاج من مخارج الاصوات العربية وصفاتها ؛ فهو لم يصف مخارج كل أصوات العربية ، ولم يُعرّف بكل صفاتها ، بل إنه أهتم بوصف مخارج الأصوات التي يكثر فيها حدوث التغيّرات الصوتية التركيبية : منها الأصوات الضعيفة في صفاتها وفي موقعها التي تتأثر بالأصوات القوية وغالباً ما يكون التغير لصالح الأقوى منها ، والأصوات القليلة التأثر بغيرها في السلسلة الكلامية ، فإن الزجاج لم يقدم وصفاً لمخارجها وصفاتها ، فمثلاً الحلقية أهتم بصوتي الهمزة والهاء منها ؛ لما فيهما من تغيّرات نطقية عند تعاملهما مع غيرها في التشكيل الصوتي ، ولم يذكر الغين والخاء ، لقلة حالات الادغام والابدال فيهما ، ولم يذكر الضاد القديمة ، لأنه من الأصوات التي لا تدغم ولا يدغم فيها ، ومثله صوت الشين ، وكان وصفه لأصوات المد واللين خجولاً ؛ اذ لم يذكر شيئاً من صفاتها إلا حالات الاعلال الصرفي فيها ، وفي حيّز الشفوية عنى بالواو والميم ، ولم يصف الباء وكذلك الفاء قبلها .

والمحور الاول في هذا المبحث : في المخارج التي ورد ذكرها في معاني الزجاج مرتبة على وفق ترتيب سيبويه إذ أثبتنا في التمهيد تأثره بكتابهِ في ترتيب المخارج كالآتي :

– اقصى الحلق :

ذكر الزجاج أقصى الحلق مخرجاً للهاء إذ قال : " إنّ الهاء تخرج من أقصى الحلق"[٣٢] وقال في علة تخفيف الهمزة " لأنها بَعُد مخرجها ؛ ولأنها نبرة في الصدر ، وهي أبعد الحروف مخرجاً [٣٣] ، والزجاج وافق سيبويه في عدّ الهمزة والهاء من أقصى الحلق اعمق مخارج الحلق [٣٤] ، كما وافق الخليل استاذ سيبويه بوصف الهاء والهمزة حلقية [٣٥] .

والدرس الصوتي الحديث وصف صوتا الهمزة والهاء بأنهما صوتان حنجريان أو مزماريان [٣٦] .

- وسط الحلق :

نسب الزجاج صوتي العين والحاء الى الحلق من غير تحديده بوسط الحلق كما فعل سيبويه الذي قال : " ومن أوسط الحلق العين والحاء " [٣٧] ففي وصف الحاء قال الزجاج : يُقال : نَحَتَ يَنْحِتُ ويقال أيضاً : نَحَتَ يَنْحَتُ ؛ لأن فيه حرفاً من حروف الحلق " [٣٨] وقال في العين : " وأن العين من الحلق " [٣٩] ويرى الأصواتيين المحدثين أن صوتي العين والحاء هما الأحق بوصف (الحلقيان) ؛ لأن الحلق عند المحدثين هو (الفراغ الواقع بين الحنجرة والفم) [٤٠] .

ولم يذكر الزجاج مخرج (أدنى الحلق) الذي خَصَّه سيبويه بصوتي الغين والخاء [٤١] وهو بنسبة هذه الاصوات الى الحلق من غير تقسيمه الى مخارجه الثلاثة يوافق الخليل أكثر من سيبويه الذي عدَّ هذه الأصوات حلقية من غير تفصيل ، لأن مبدأها الحلق [٤٢] .

ولعل الزجاج لم يهتم بأصوات (ع – ح – غ – خ) مثل عنايته بالهمزة والهاء ، لقلة الظواهر الصوتية التعاملية في أصوات الحلق ، فكثيراً ما كان يردد مقولة سيبويه بان حروف الحلق ليست بأصل في الادغام [٤٣].

- وسط اللسان :

ذكر الزجاج وسط اللسان مخرجاً لصوت الجيم من غير أن يذكر الجزء المقابل له من الحنك الاعلى ؛ للاختصار في التعليل الصوتي لجواز ادغام الجيم في التاء والدال ، أما سيبويه فوصف طرفي مخرج الجيم وذكر معه الشين والياء في قوله : " ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الاعلى مخرج الجيم والشين والياء " [٤٤] وأكتفى الزجاج بذكر وسط اللسان فقط ولم يذكر وسط الحنك الاعلى " في اثناء بيان علة جواز ادغام الجيم في التاء في قوله عز وجل : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم ﴾ [النساء: ٥٦] إذ قال : " وإن شئت ادغمت التاء في الجيم ، لأن الجيم من وسط اللسان والتاء من طرفه ، والتاء حرف مهموس فأدغمته في الجيم " [٤٥] .

وقال في ادغام الدال في الجيم في قوله عز وجل : ﴿ فَقَدْ جَعَلْنَا ﴾ [الإسراء: ٣٣] : " الأجود ادغام الدال في الجيم ... لأن الجيم من وسط اللسان والدال من طرف اللسان والادغام جائز ؛ لأن حروف وسط اللسان قد تقترب من جروف طرف اللسان" [٤٦] ويفهم من كلام الزجاج موافقته لسيبويه في تحديد مخرج اصوات الجيم والشين والياء كما انه استعمل التسمية ذاتها (وسط اللسان) لبيان مخرجهما ، وقد ارتضى الأصواتيون المحدثون وصف سيبويه لهذا المخرج ، وأكدوا دقته [٤٧] .

- طرف اللسان وأصول الثنايا

يحوي هذا المخرج على ثلاثة مجموعات صوتية ، وتسعة أصوات متقاربة في مخارجها ؛ لذلك ترتبط بعضها مع بعض بقرابة صوتية يمكن بوساطتها تبادل بعضها مع بعض او ادغام بعضها في بعض ، لتقاربها في المخارج ، وتوافقها في قسم من الصفات ؛ لذلك كانت محط عناية الزجاج واهتمامه في معانيه ، والمجموعات الثلاث هي :

١ – المجموعة الذلقية : (ل– ر ن) :

وقد استعملت مصطلح الخليل في تحديد مخرجها لأن الزجاج لم يذكر شيئاً في وصف مخرجها سوى جواز ادغام اللام في الراء ، لقرب اللام من الراء في المخرج ، إذ قال في قوله عز وجل ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ١٥٨] ك " إدغام اللام في الراء هو الكلام ، وعليه القراءة ؛ لأن اللام قريبة المخرج من الراء " [٤٨] أما علة تسميتها بالذلقية عند الخليل " لأن مبدأها من ذلق اللسان أي طرفه " [٤٩] ووصفها المحدثون باللثوية نسبة الى اللثة في أصول الثنايا[٥٠] .

٢– مجموعة (ط – د – ت) :

وافق الزجاج سيبويه في وصف مخرج هذه الأصوات إذ حدد مخرجها في تفسيره لجواز ادغام التاء في الطاء في قوله عز وجل :﴿ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ ﴾ [النساء: ٨١] ، إذ قال : " التاء تدغم في الطاء ؛ لأنها من مكان واحد ، وهما مع الدال من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا " [٥١] ويلاحظ أن الزجاج حدد الثنايا بـ(العليا) في حين أن سيبويه تركها من غير تحديد في قوله : " ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء " [٥٢] وفي وصف سيبويه اشارة الى جواز اشتراك الثنايا العليا والسفلى مع طرف اللسان في نطقها ؛ لذلك لم يحدد الثنايا .

٣ – مجموعة اصوات الصفير (ص– ز – س) :

نسبَ الزجاج هذه الاصوات الى طرف اللسان من غير ذكر الجزء المقابل له من الحنك الاعلى وذلك في اثناء تعليل ادغام الدال مع السين في قوله عز وجل : ﴿ قَدْ سَمِعَ ﴾ [المجادلة: ١] إذ قال : " وانما حسن ذلك ؛ لأن السين والدال من حروف طرف اللسان " [٥٣] وقال كذلك : " والسين والزاي والصاد من موضع واحد ، وهي تسمى حروف الصفير " [٥٤] ، وهو في النص الثاني يُفسر علة من فَضّل الاظهار ، وقد ترك التصريح بمخرج هذه الأصوات ، وعنى بذكر صفة الصفير ، لأنها من الصفات القوية التي لا يمكن للصوت المتصف بها أن يتنازل عنها لصالح الصوت الآخر المدغم فيه ، لذلك يفضل معها الاظهار على الادغام [٥٥] .

والدرس الصوتي الحديث ضمها الى مجموعة (د – ط – ت) واطلق عليها : اسنانية لثوية [٥٦] وعدّها كانتينو اصواتاً اسنانية [٥٧] .

– طرف اللسان وأطراف الثنايا :

وصف الزجاج مخرج الذال من مجموعة (ظ – ذ – ث) الاسنانية بقوله : " والذال من أطراف الثنايا العُلا ودوين طرف اللسان " [٥٨] اما سيبويه فقال في مخرجها [٥٩] : " ومن طرف اللسان واطراف الثنايا الظاء والذال والثاء " ويلاحظ في الوصفين : أن الزجاج ذكر الجزء الثابت أولاً أقصد (أطراف الثنايا) وآخر (طرف اللسان) الجزء المتحرك ، وحدد الثنايا

بـ(العُلا) والناطق لهذه الأصوات يُدرك بسهولة أن طرف اللسان يدخل ما بين الاسنان العليا والسفلى ، وليس العُلا فقط على وفق مذهب الزجاج ، لذلك يمكن القول أن سيبويه أكثر دقة من الزجاج حين تركَ أطراف الثنايا من غير تحديد بالعليا أو السفلى .

والأصواتيون المحدثون متفقون مع علماء العربية القدماء في وصف هذه المجموعة بالأسنانية [٦٠] .

- الأنف :

استعمل الزجاج مصطلح (الأنف) بدل (الخياشيم) في وصف مخرج الغنة المصاحبة لنطق صوتي النون والميم في تعليل جواز ادغام النون في الميم في قوله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [النبأ: ١] إذ قال : (فأدغمت النون في الميم لأن الميم تشارك النون في الغنة في الأنف) [٦١] وإنما استعمل (الأنف) بدل (الخياشيم) من باب اطلاق الكل على الجزء.

أما سيبويه فجعل الخياشيم مخرجاً للنون الخفيفة أو الخفيّة [٦٢] ، والباحث يرى أن الخياشيم أو ما أسماه الزجاج بـ(الأنف) لا يمكن أن يُعدَّ مخرجاً مستقلاً ؛ لأنها صفة مخرجية تصاحب خروج صوتي النون والميم ، كالتكرار في الراء والانحراف في اللام ، تحصل عند غلق المجرى الفموي بنزول الحنك اللين ، فيضطر الصوت الخروج من التجويف الأنفي عند نطق النون والميم ؛ لذلك يصاحب نطقها صوت الغنة .

نستخلص من وصف الزجاج لما ذكره من مخارج لأصوات العربية ؛ أنه لم يضع كتابه ليكون متخصصاً بالدرس الصوتي، إنما كان جُلّ اهتمامه فيه توجيه معنى النص القرآني واعرابه كما ذكرنا في التمهيد ، لذلك لم يأتِ الزجاج بوصف متكامل لمخارج أصوات العربية جميعاً إلا مخارج الأصوات التي اتسمت بكثرة تأثرها في الظواهر الصوتية التعاملية .

وفي كلام الزجاج في تحديد المخارج نجده لم يستقر على منهج محدد في الوصف ، فمرة ينسب المخرج الى عضو واحد على طريقة الخليل كما فعل في الأصوات الحلقية ، وثانية يذكر أكثر من عضو في تحديد المخرج على طريقة سيبويه كما فعل في وصف مجموعة (ط – د – ت) ومجموعة (ظ – ذ – ث) [٦٣] وثالثة يذكر المخرج من غير تحديدهُ مثلما فعل في صوتي اللام والراء .

ثانياً : صفات الأصوات عند الزجاج :

يمكن تعريف الصفة الصوتية بانها نوع من التكيفيات والآليات التي تتخذها أعضاء آلة الصوت ، تكون مصاحبة لتكوّن الحرف في مخرجه ، ولها أثر كبير في تمييز أجراس الحروف المشتركة في المخرج الواحد [٦٤] .

وقد ذكر الزجاج قسمين من الصفات : صفات عامة أو متضادة كالجهر والهمس والاطباق والانفتاح ، والاستعلاء والاستفال والتفخيم والترقيق ، وصفات خاصة بمجموعة من الاصوات كالصفير والقوة والغنة والتكرار وغيرها ، وسنفصل القول هنا في الصفات التي ذكرها في معانيه .

- الجهر والهمس :

وهما من أكثر الصفات الصوتية التي يُعوّل عليها الأصواتيون قديماً وحديثاً في تمييز الأصوات ، وقد نالت هذه الصفة اهمية كبيرة عند سيبويه خاصة ، وعند من جاء بعده ، وربما يعود ذلك الى أن سيبويه أول من عرّف المجهور والمهموس [٦٥] وحد المجهور والمهموس عند سيبويه : (حرف أشبع الاعتماد في موضعه ، ومُنِع النفس ان يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت ... أما المهموس : فحرف أُضعفَ الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه)[٦٦] .

وذكر الزجاج التعريف نفسه غير أنه نسبه الى الخليل ، فقال : (وهي فيما زعم الخليل ضربان : فالمجهور حرف اشبع الاعتماد عليه في موضعه ، ومنع النفس ان يجري معه ، والمهموس : حرف أضعف الاعتماد عليه في موضعه ، وجرى معه النفس)[٦٧] وأيَّد الدكتور مهدي المخزومي ما ذكره الزجاج ، ورأى ان التعريف للخليل وسيبويه أخذه عنه [٦٨] وانتهى الدكتور غانم قدوري الى الوقوف على احتمالين لهذا النص [٦٩] ، الأول : أن الزجاج وهم في النسبة ، وأنه اراد القول : (فيما زعم سيبويه) فقال : (فيما زعم الخليل) ، والآخر : أن أصل التقسيم والتعريف هو للخليل وأخذه عنه سيبويه ، ويُؤيد هذا الاحتمال ما أورده الدكتور إبراهيم أنيس عن السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه نصاً منقولاً عن الأخفش ، أنه سأل سيبويه عن الفصل بين المجهور والمهموس ، فقال : المهموس إذا أخفيتَهُ ثم كررته أمكنكَ ذلك ، وأما المجهور فلا يمكنك ذلك فيه ... وأحسبه ذكر ذلك عن الخليل ...)[٧٠] .

والباحث من خلال دراسته للمادة الصوتية في معاني الزجاج يرى ان الزجاج في وصفه لمخارج أصوات العربية وبيان صفاتها ، وكذلك في احكام الادغام والاظهار سار على نهج سيبويه واستعمل مصطلحاته ، ورَجّحَ تعليلاته الصوتية لظواهر الادغام والابدال والامالة والهمز وغيرها من ظواهر تقريب الصوت من الصوت طلباً للخفة في النطق ، وذكرت أنه صرّح بأخذ مادته الصوتية من آخر كتابه سيبويه [٧١] ، وهذا كله يدل على ان الزجاج قد وهم في نسبة تعريف الجهر والهمس للخليل ، على أننا لا نشك في عبقرية الخليل رائد الدراسات العربية ، واذكى العرب ولا نغفل الروايات في أن جل كتاب سيبويه من افكار الخليل والاصوات المجهورة عند القدماء خمسة عشرة : ء– ب – ج – د – ذ – ر – ز – ط – ظ – ض – ع – غ – ق – ل –م – ن – ألف – و – ي .

واخرج المحدثون منها : (الهمزة والقاف والطاء) ، لأنها لا تخضع لمعيار الجهر عندهم ، وهو ذبذبة الوترين الصوتيين ، أما المهموسة عند القدماء فعشرة هي : (هـ – ح – خ – ك – ش – ص – س – ت – ث – ف) وتجمع في قولك (سكت فحثه شخص) ، وهذه الأصوات تخلو من ذبذبة الوترين الصوتيين عند نطقها [٧٢] .

– الأطباق والانفتاح :

الاطباق : صفة صوتية لأربعة أصوات هي (ض– ص – ط – ظ) فيها يرتفع اللسان من أقصاه وطرفه نحو الحنك الأعلى ، ويتقعر وسطه مع تراجع أقصى اللسان الى الجدار الخلفي للحلق ، والانفتاح ضد الاطباق وأصواتها كل أصوات العربية ما عدا المطبقة ، ومعها لا يرتفع اللسان من طرفه واقصاه نحو الحنك الاعلى بل يبقى مستقراً في قاع الفم [٧٣].

وقد أشار الزجاج الى أصوات الاطباق في أثناء كلامه على الأصوات المستعلية المانعة للإمالة في صيغة فاعِل إذ قال : (وهي سبعة احرف منها أربعة مطبقة ، وهي الصاد والضاد والطاء والظاء ، وثلاثة مستعلية وهي الخاء والغين والقاف) [٧٤] وعَدَّ الزجاج المطبقة مانعة ؛ لأنها أصوات مفخمة ، والتفخيم ضد الامالة .

- الاستعلاء والاستفال:

هما صفتان متضادان ، يتخذ اللسان في اثناء نطق المستعلية وضعاً مخالفاً لما يتخذه في نطق المستفلة ، والمستعلية سبعة أحرف : المطبقة الاربعة يزاد عليها ثلاثة : الغين والخاء والقاف ، ومعها يستعلي اللسان من اقصاه نحو الحنك الاعلى مع تراجع جذر اللسان الى الجدار الخلفي للحلق ، والمستفلة لا يستعلي معها أقصى نحو الحنك الاعلى بل يبقى مستوياً في الفم [٧٥] .

وقد أشرت في الكلام على المطبقة تقسيمه المستعلية الى مستعلية مطبقة هي (ض- ص – ط – ظ) ومستعلية غير مطبقة هي الغين والخاء والقاف ، والمستعلية كلها أصوات مفخمة مانعة للامالة ، لذلك ذكرها الزجاج في بيان الامالة والفتح في ألفات ما انتخبه من ألفاظ القرآن الكريم ، وفي موضع آخر ذكر حروف الاطباق والاستعلاء وعدّها من موانع الامالة كذلك في قوله تعالى : ﴿ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٤١] قال الزجاج : (والإمالة في الكاف أيضاً جيد بالغ في اللغة ؛ لأن فاعِلا اذا سلم من حروف الاطباق والاستعلاء ، كانت الامالة فيه سائغة)[٧٦] .

- التفخيم والترقيق :

مصطلحان يماثلان في مفهومها الاستعلاء والاستفال من جهة آلية النطق ، فالمفخم يرتفع معه أقصى اللسان نحو أقصى الحنك مع تراجع جذر اللسان الى الجدار الخلفي للحلق ، والأصوات المفخمة عشرة : المستعلية السبعة يزاد عليها ثلاثة : الألف واللام والراء ساقط في مواضع سياقية معينة ، والأصوات المرققة ما عدا المفخمة ومعها يستوي اللسان في الفم ، ولا يرتفع اقصاه نحو الحنك الاعلى[٧٧].

والزجاج ذكر التفخيم بمعنى مضاد للامالة في الألف والفتحة إذ بَيَّنَ حكم الامالة والفتح في النارِ من قوله عز وجل : ﴿ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [الأنعام: ٢٧] بقوله : (القراءة أكثرها بالفتح والتفخيم)[٧٨].

- الصفات الخاصة عند الزجاج

- التكرار :

وهي صفة صوتية انفرد بها صوت الراء قال سيبويه : (ومنها المكرر : وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره ... وهو الراء) [٧٩] وعلل الدكتور محمود السعران تسميته بالمكرر بقوله : (يتكون صوت الراء العربي بأن تتابع طرقات طرف اللسان على اللثة تتابعاً سريعاً ، ومن هنا كانت تسمية هذا الصوت بالمكرر) [٨٠] .

وذكر الزجاج هذه الصفة في اكثر من موضع في كتابه من غير أن يعرفها ، ومنها قوله في منع ادغام الراء في اللام : (ولا تدغم الراء في اللام ، إذا قلت : مُرْ لي بشيء ؛ لأن الراء حرف مكرر ، فلو أدغمت في اللام ذهب التكرير مِنها)[٨١] ويفهم من كلامه أن التكرار صفة قوية لازمة للراء ، لا يمكن التنازل عنها لصالح صوت آخر مجاور لها في

الادغام ، والراء المكسور عامل قوي في احداث الامالة في نحو (في النار) و(بالأسحارِ) وعلة ذلك عند الزجاج : (لأن الراء بعد الألف مكسورة وهي حرف مكرر في اللسان ، فصارت الكسرة فيه كالكسرتين) [٨٢] .

-الصفير :

صفة صوتية تدل على شدة وضوح الصوت في السمع ، نتيجة الاحتكاك الشديد المصاحب لنطق أصواتها : الصاد والزاي والسين ، لتخرج وكأنها يُصَفَرُ بها [٨٣] ، والمصطلح لسيبويه إذ سَمّاها بحروف الصفير في قوله : (وأما الصاد والسين والزاي فلا تدغمن في هذه الحروف التي ادغمت فيهن ؛ لأنهن حروف الصفير ، وهن أدنى في السمع) [٨٤] وهو هنا يشير الى جواز ادغام مجموعة (ط – د – ث) و (ظ – ذ – ث) في أصوات الصفير ، في حين أن اصوات الصفير لا تدغم فيهن ؛ لقوة هذه الثلاثة بالصفير الذي فيها ، فهي صفة قوية لا يمكن التنازل عنها لصوت آخر في الادغام ، وقد أيّدَ الزجاج سيبويه في هذا حين علل لمن أظهر الدال عند السين ولم يدغمهما بقوله : (والسين والزاي والصاد من موضع واحد ، وهي حروف الصفير) [٨٥].

اشارة منه الى أن الادغام يسلب السين هذه الصفة القوية فلا يجوز الادغام هنا .

-الغنة :

صوت يخرج من الخيشوم عند النطق بصوتي النون والميم ، وعلة خروج الغنة من تجويف الأنف ترجع الى انخفاض الحنك اللين في أقصى الفم ، فيسد المجرى في الفم لهذا يخرج النفس من الأنف [٨٦] .

وقد أشار الزجاج الى خروج الغنة من الأنف في تعليل جواز ادغام النون في الميم في قوله عز وجل : ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [النبأ: ١] إذ قال : (أصله : عن ما يتساءلون ، فادغمت النون في الميم ؛ لأن الميم تشارك النون في الغنة من الأنف)[٨٧] .

-القوة :

عرف الدكتور رشيد العبيدي والدكتور عبد العزيز الصيغ القوة بأنها (الصفة الايجابية للصوت) [٨٨] وعَرَّفت الصوت القوي في كتابي (مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية) بأنه : (صامت صحيح يخرج من موضعه مصحوباً بصفات صوتية مختلفة تميّزه من غيره من أصوات الحروف في السمع ، وتكون الصفات القوية فيه اكثر من الضعيفة)[٨٩] وفي التعاملات الصوتية ، لا يمكن ادغام الاقوى في الأضعف في أكثر حالات الادغام ؛ لأن الصوت القوي لا يتنازل عن صفاته القوية لصالح الصوت الأضعف المجاور له في التشكيل الصوتي ، وهذا أصل مشهور عند علماء العربية ، ومنهم الزجاج الذي وافق سيبويه في منع ادغام الراء في اللام محتجاً بقوله : " أن الراء حرف مكرر قوي ، فاذا ادغمت الراء في اللام ذهب التكرير منها " [٩٠] ، واستعمل الزجاج مصطلح (الغلبة) المرادف للقوة في وصف ادغام اللام في الراء بالجودة ، إذ قال : " والادغام أجود ، لقرب اللام من الراء ، ولغلبة الراء على اللام "[٩١] وهي إشارة منه الى جودة ادغام الأضعف في الأقوى ؛ لأنه قلب الأضعف الى جنس الأقوى في هذا الإدغام يصير الضعيف قوياً .

-المد واللين :

لم أجد الزجاج عنى بأصوات المد واللين كما فعل الخليل وسيبويه ، ولم يذكر صفاتها ولا مخارجها ، وانما ذكر حالات الاعلال الصرفي فيها ، وأشار أنهما صفتان للألف والواو والياء ، ولم يفرق بين المد واللين بحسب حركة ما قبلها ، وإنما أكتفى ببيان العلاقة بين حروف المد واللين والنون في خروجها حرة طليقة من غير وجود عائق يعترضها في المجرى الصوتي من الفم بالنسبة لحروف المد واللين ، ومن الأنف بالنسبة للنون ، فهما مشتركان في إمكان مد الصوت بها [٩٢] .

وخلاصة القول في موضوع الصفات الصوتية عند الزجاج في معانيه : أنه لم يذكر تعريفاً لما أورده من صفات بل ذكرها في تعليلاته الصوتية لحصول ظواهر تعاملية بسبب تأثر الأصوات بعضها ببعض في السلسلة الكلامية كالإبدال والادغام والامالة وغيرها ، أستثني من ذلك صفتي الجهر والهمس ، إذ عَرَّفهما بتعريف سيبويه ونسبه سهواً إلى الخليل ، ثم ذكر صفات الاطباق والاستعلاء والتفخيم في كلامه على أحكام الإمالة ، لأثرها الكبير في منع إمالة الألف ، وخصوصاً في صيغة (فَاعِل) إذا كان قبل الألف أحد حروف الاستعلاء ، وفي الصفات الخاصة عنى الزجاج بالصفات القوية المؤثرة في إبدال الأصوات وإدغامها كالصفير والتكرار والغنة والقوة ، ومقابل ذلك لم نر الزجاج أولى عناية كبيرة بوصف حروف المد واللين من جهة المخرج والصفات كما فعل الخليل وسيبويه قبله .

المبحث الثاني : الظواهر الصوتية التعاملية عند الزجاج

الظواهر التعاملية في أصوات العربية التي ذكرها الزجاج في معانيه ، تُعدّ المحور الأساس في بحثه الصوتي إذ عنى بتفسير حصول التغيرات الصوتية التركيبية في أبنية ألفاظ القرآن الكريم التي أختار بيان معانيها واعرابها ، وقد تباين قدر اهتمامه بهذه الظواهر ، إذ أولى الزجاج عناية كبيرة بالإدغام ثم الابدال ثم الهمز ثم الامالة والاتباع ، وهذا الترتيب واضح عند من يقرأ معاني الزجاج ، وأكثر هذه الظواهر نجده مصحوباً بتعليل صوتي ، يُبيّن وجه القرابة الصوتية بين الصوت المؤثر والصوت المتأثر عند تجاوز الأصوات في التشكيل الصوتي ، وسأفصل الكلام في هذه الظواهر على وفق الترتيب الهجائي :

أولاً : الأبدال

من الظواهر الصوتية التعاملية التي أبدى العلماء – قديماً وحديثاً – عنايتهم بها بشكل واضح ، وتناولوها بالدرس والتحليل ، وهي وسيلة مهمة من وسائل تنمية اللغة العربية وقد عرّف ابن يعيش (٦٤٣هـ) الابدال بقوله : " أن تقيم حرف مقام حرف ، إما ضرورة ، وإما صنعة واستحساناً "[٩٣] .

وعَرّفه الدرس الصوتي الحديث بأنه : اتفاق كلمتين في المعنى وفي ترتيب الاصوات إلا صوتاً واحداً له الموضع نفسه في ترتيب الكلمتين مثل مدحَ ومدهَ ، وكشطَ وقشطَ ، وأصيلان وأصيلال ، وآجن وآجم[٩٤] ونحوها .

والابدال اعم من الاعلال ؛ لأنه في أكثر الحروف والحركات في حين أن الاعلال يقتصر على حروف العلة فقط : (الألف والواو والياء والهمزة) ويشترط علماء العربية في الابدال وجود علاقة صوتية بين الصوت المبدل والمبدل منه في

المخرج والصفات ، ومنهم الزجاج في اثناء كلامه على الابدال القياسي في صيغة (إفتعل) ، إذ علل ابدال الدال من التاء في هذه الصيغة في قوله عز وجل ﴿ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ ﴾ هود: ٣١] بضعف التاء وخفائها عند الزاي المجهورة القوية بقوله : " وتزدري أصله تَزْتدري بالتاء ، إلا أن هذه التاء تبدل بعد الزاي دالاً ؛ لأن التاء من حروف الهمس، وحروف الهمس خفية ... فأبدلت منها الدال لجهرها وكذلك يفتعل من الزينة يزدان"[٩٥] وما حدث في (يزدري ويزدان) أثر الصوت الأول (الدال) المجهور في الصوت الثاني (التاء) المهموس بشكل جزئي فهو من النوع المقبل الجزئي .

وهذا التأثير نفسه يحصل في صيغة (مُفْتَعِل) في نحو (مزدجر ومزدان) وعلل الزجاج وقوعه في هذه الصيغة بقوله : (وانما ابدلت دالاً ؛ لأن التاء حرف مهموس والزاي مجهور ، فأبدل من التاء من مكانها حرف مجهور وهو الدال)[٩٦] .

ويقلب تاء (افتعل) طاءً اذا كان فاء الكلمة أحد حروف الاطباق (ض– ص –ط – ظ) ففي الفعل (اصطفى) التي أصلها (اصتفى) تأثرت التاء بصوت الاطباق (الصاد) فقلبت طاء ابتغاء الخفة في النطق ، يقول الزجاج في قوله عز وجل : ﴿ ٱصۡطَفَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٤٧] : (وهو افتعل من الصفوة ، والأصل : اصطفاه ، فالتاء اذا وقعت بعد الصاد أبدلت طاء ؛ لأن التاء من مخرج الطاء ، والطاء مطبقة كما أن الصاد مطبقة ، فأبدلوا الطاء من التاء ؛ ليسهل النطق بما بعد الصاد ، وكذلك افتعل من الضرب : اضطرب ومن الظلم : اظطلم) [٩٧] .

فالزجاج في هذا النوع من الابدال أشار الى أنه مضبوط بميعارين : الأول : التقارب المخرجي بين التاء والطاء ، والثاني: قوة تأثير الصاد المطبقة المفخمة على التاء المهموسة المرققة ، مما اضطر المتكلم الى قلبها طاءً ، وهو صوت موافق للصاد في الاطباق والاستعلاء والتفخيم ، ابتغاء الخفة في النطق [٩٨] .

وفي الابدال اللغوي المسموع عن قبائل العرب وجدت الزجاج يورده من غير أن يذكر تعليلاً صوتياً لحدوثه ، نحو قوله في إبدال الهمزة هاءً : (فأبدلت منها الهاء كما قالوا في إياكَ : هِياكَ ، وكما قالوا في أرقتُ الماء : هَرَقتُ ...) [٩٩] .

وأقول : إن الابدال جائز هنا للتقارب المخرجي بين الهمزة والهاء ، اذ هما من أقصى الحلق عند القدماء ، ومن الحنجرة عند المحدثين .

ومن اشكال الابدال السماعي المروي عن العرب في أصوات الحلق ، للتقارب المخرجي قول الزجاج :((بعثرَ وبحثرَ بمعنى واحد)) [١٠٠] فالعين والحاء من مخرج واحد ، وهو وسط الحلق لذلك جاز الابدال بينهما .

وروى الزجاج الابدال بين الكاف والقاف في قوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴾ [التكوير: ١١] إذ قال : ((يقال : كَشطتُ السقف وقشطتُ السقفَ بمعنى واحد ، والقاف والكاف تبدل أحدهما من الأخرى كثيراً ، ومثل ذلك : لَبَكتُ الشيء ولبقتَهُ إذا خلطته)) [١٠١] وإنما جاز الابدال بين القاف والكاف ؛ لتقارب مخرجيهما إذ هما من بين أقصى اللسان وأقصى الحنك اللين بما فيه اللهاة فضلاً عن اشتراكهما في صفة الشدة .

وأشار الزجاج كذلك الى الابدال بين الباء والميم في قوله عز وجل : ﴿ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [الصافات: ١١] إذ قال : ((لازب ولازم معناهما واحد ، أي لازق)) [١٠٢] وجاز الابدال هنا ؛ لاتحادهما في المخرج ؛ لكونهما من الشفتين ولاشتراكهما في صفة الجهر.

-إبدال أحد صوتي المضعف ياءً :

وهو شكل من اشكال المخالفة الصوتية ، وفيها تميل الأصوات المتماثلة الى التخالف ، طلباً للخفة والسهولة في النطق ، وقد أشار اليها سيبويه بمصطلح (كراهية التضعيف) في قوله : " هذا باب ما شذَّ ، فابدل مكان اللام ياء كراهية التضعيف ، وليس بمطرد ، وذلك قولك : تسرَّيتُ وتظنيتُ وتقصَّيتُ من القصّ وأمليتُ ... وكل هذا التضعيف فيه عربي كثير جيد " [١٠٣] وقد وجه الزجاج ما ذكره من أمثلة في هذا النوع من الابدال على وفق تفسير سيبويه لظاهرة كراهية التضعيف ، ومنها قلب الراء ياءً في (ذُرّيّة) إذ أجاز الزجاج ان يكون أصلها ذُرورَة ، ثم صارت ذُروية بقلب الراء الثانية ياءً ، ثم ادغمت الواو فيها بعد قلبها ياءً ، فصارت ذُرِيَّة [١٠٤] ومنه قولهم : تقضّى والأصل تقضّضَ ، فاستثقلوا ثلاث ضادات ، فأبدلوا من الاخيرة ياءً فصارت تَقَضَّي ثم قلبت الياء ألفاً ؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها [١٠٥] ومنه قلب السين ياءً في قوله عز وجل : ﴿ دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ١٠] ، اذ يرى الزجاج أن أصلها : دَسَّسَها فقلبت السن الأخيرة ياءً ثم قلبت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فصارت : دَسَّاها [١٠٦] .

ومن اشكال المخالفة في غير باب المضعف ، إبدال الألف هاءً في بيان أصل (مهما) : (ماما) : (ولكن أبدال من الألف الأولى الهاء ؛ ليختلف اللفظ) [١٠٧] وفي كلام الزجاج تصريح بمفهوم المخالفة الصوتي في الدراسة الحديثة .

ومن التخالف الصوتي إبدال الواو همزة في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾ [المرسلات: ١١] قال الزجاج : (وقُرِئت : وُقتت بالواو والمعنى واحد ، فمن قرأ : أُقُتِتْ بالهمز ، فأنه أبدل الهمزة من الواو ؛ لانضام الواو ، فَكل واو أنضمت ، وكانت ضمتها لازمة ، جاز ان تبدل منها همزة) [١٠٨] ويمكن تعليل هذا النوع من الابدال المطرد بثقل اجتماع الواو مع الضمة المماثلة لها في النطق فجنح المتكلم الى المخالفة بينهما بإبدال الواو همزة ابتغاء الخفة في النطق ، ومثله قولهم في وُجوه : أُجُوه ، وفي أَدْؤُر جمع القلة في دار : أَدْؤر [١٠٩] .

ثانياً : الادغام

ظاهرة صوتية تركيبية تعرف بأنها : وصل حرف ساكن بحرف متحرك ، من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف بحيث يرتفع اللسان بالحرفين ارتفاعة واحدة ، فيصيران حرفاً مشدداً[١١٠] .

إن الاصوات المتجاورة في البيئة الصوتية يؤثر بعضها ببعض ، وغالباً ما يكون التأثير باتجاه الصوت الأقوى ، والادغام اعلى اشكال هذا التأثر ، إذ ينصهر الصوت الأول في الثاني ويشدد الثاني للدلالة على انه حرفان متدخلان ، وينطق بمدة أطول من الصوت المفرد ، وأقل من نطق صوتين متماثلين غير مدغمين ، والغرض من الادغام ابتغاء الخفة والسهولة في النطق ؛ لثقل الحرف المكرر في النطق ، إذ يثقل على اللسان الرجوع إلى موضع الحرف المكرر مرتين ،

فيسعى المتكلم إلى التخلص من ثقل المكرر بالادغام ؛ لاقتصاد الجهد المبذول في النطق يقول سيبويه : " وذلك فيما زعم الخليل أولى به ؛ لأنه لما كان من موضع واحد ثقل عليهم أن يرفعوا ألسنتهم من موضع ثم يعيدوها إلى ذلك الموضع للحرف الآخر ، فلما ثقل عليهم ذلك أرادوا أن يرفعوا رفعة واحدة "[١١١] .

-أقسام الإدغام :

للإدغام تقسيمات عدة عند النحاة والقُراء ، غير أن تقسم القراء هو الأقرب لموضوع بحثنا ، لتعلقه بألفاظ القرآن الكريم وانواع الادغام فيها ، مما أورده الزجاج في معانيه من اشكال الادغام مصحوبة ببيان القرابة الصوتية بين الصوتين المدغمين كما عرض اشكالاً أخرى لم يذكر علة جواز الادغام فيها .

واقسام الادغام عند القراء : الادغام الكبير : وهو ما كان الأول من الحرفين فيه متحركاً سواء أكانا مثلين أم متقاربين وتسميته بالكبير علتها : كثرة استعماله في الكلام ، ولما فيه من زيادة تتمثل بجعل الحرف المتحرك ساكناً ، وهذا النوع من الادغام اشتهر به أبو عمرو بن العلاء ، إذ كان يدغم المتحرك في مثله وفي مقاربه، اذا كانا متحركين سواء سكن ما قبله أم تحرك [١١٢] .

والثاني : الادغام الصغير : هو الذي يكون الأول من الحرفين فيه ساكناً في الأصل ثم يدغم في مثله أو مقاربة سواء في كلمة واحدة أم من كلمتين [١١٣] .

وثمة تقسيم آخر للإدغام على كامل وناقص ، فالكامل يعني ادخال الأول في الثاني ، فيصير كالثاني في المخرج والصفات مثل ادغام التاء في الطاء والنون في الراء ونحو ذلك ، أما الادغام الناقص : فان الصوت الأول لا يدخل في الثاني بشكل كامل بل يبقى أثراً من صفاته القوية واضحاً في السمع ، ومنه ادغام النون الساكنة في الواو والياء في نحو (من والٍ) و (من يُؤمن) إذ تبقى الغنة فيهما بارزة في السمع ، ومنه ادغام الطاء في التاء في نحو (أحطتُ) إذ يبقى أثر الاطباق واضحاً في التاء بعد الادغام ، وعلة بقاء صوت الاطباق هو ادغام الطاء المطبقة القوية بصوت أضعف منها منفتح مرقق هو التاء [١١٤] .

والزجاج في معانيه لم يهتم كثيراً بإدغام المثلين ؛ لأنه الأصل في الادغام ، وأكثر عنايته كانت في ادغام المتقاربين في المخرج أو الصفات .

ولا بد قبل تفصيل الكلام في ادغام المتقاربين أن أشير إلى أن الزجاج كان يميل إلى الاظهار عند التقاء صوتين من أصوات الحلق من كلمتين ففي إقراره جواز الادغام على الأصل في قوله تعالى عز وجل :﴿ فِيهِ هُدًى ﴾ [البقرة: ٢] إلا أن تعليله يبيّن ميله إلى الاظهار إذ قال في ادغام الهاء في الهاء هنا . " وهو جائز في القياس ؛ لأن الحرفين من جنس واحد ؛ إلا أنه يثقل في اللفظ ؛ لأن حروف الحلق ليست بأصل في الادغام ، والحرفان من كلمتين "[١١٥] .

وهو بذلك يوافق سيبويه في عد حروف الحلق ليست بأصل في الادغام ؛ لقلتها وبعد مخرجها[١١٦] .

والكلام نفسه ذكره في تعليل جواز ادغام العين في العين في قوله عزّ وجلّ : ﴿ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [المنافقون: ٣] معللاً لمن أظهر بالفصل ؛ لكون الحرفين من كلمتين ، وبأن العين من حروف الحلق ، وهي ليست بأصل في الادغام[١١٧] .

وفي ادغام المتقاربين كان الزجاج يعلل حالات وقوعه في الصيغ الافرادية والتركيبية على وفق ثلاثة معايير : التقارب المخرجي بينهما ، وهو المعيار الاساس لديه ثم التوافق في الصفات وأخيراً معيار الصوت الأقوى وضرورة ان يكون الادغام باتجاه الصوت الأقوى وليس العكس وسأعرض اشكال الادغام التي ذكرها الزجاج على وفق منهجه في وصف مخارج الأصوات من الأعمق الى الأظهر ، أي من الحلق الى الشفتين ، وقد وجدته قليل الاهتمام بالادغام في حروف الحلق إلا ما ذكرته من ادغام المثلين فيها ، آخذاً بالحكم القائل أن أصل الادغام في حروف الفم ، لكثرتها وتقارب مخارجها – كما ألمعت سابقاً – لذلك سأبدأ بأول مخارج الفم من الداخل ، وهي الحروف اللهوية :

-ادغام القاف في الكاف :

اشار الزجاج الى جواز ادغام القاف في الكاف ؛ للتقارب المخرجي بينهما ؛ لأنهما من أقصى الحنك بما فيه اللهاة ، وفي قوله عزّ وجلّ : ﴿ بِوَرِقِكُمْ ﴾ [الكهف: ١٩] لم يعلل الزجاج جواز ادغام القاف في الكاف ، وهي قراءة شاذة مروية عن ابن محيصن [١١٨] ، واكتفى بالقول : ((ويجوز بورقكم : بوركّم ، تدغم القاف في الكاف ، وتصير كافاً خالصة))[١١٩] وقوله : (كافاً خالصة) اشارة منه الى أن الادغام كامل وليس ناقصاً.

-الادغام في الاصوات اللثوية (ل – ر – ن) :

انتقد الزجاج بشدة من أدغم صوت الراء في اللام في قوله عز وجل : ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١] ونَسَبَهُ الى بعضِ النحويين من غير تسمية ، وهو يقصد الكسائي والفراء [١٢٠] .

ووصفه بالخطأ الفاحش ، ورأى أن من رواه عن أبي عمرو قد وقع في الغلط ، إذ لا وجه له في العربية ، لأن الراء بفضل التكرار قوية ولا يجوز أن تدغم فيما هو أضعف منها يقصد اللام ، ورأى أن الاظهار هو الأجود ، إذ قال :((وزعم بعض النحويين ، أن الراء تدغم في اللام فيجوز : يغفَّكُمْ ، وهذا خطأ فاحش ، ولا اعلم أحد قرأ به غير أبي عمرو بن العلاء ، وأحسب الذين رووا عن أبي عمرو ادغام الراء في اللام غالطين ، وهو خطأ في العربية ... لأن الراء حرف مكرر ، فلو أدغمت في اللام ذهب التكرير ، وهذا اجماع النحويين الموثوق بعلمهم)) [١٢١] يقصد الخليل وسيبويه [١٢٢] لقوة الراء بالتكرير الذي يذهب في ادغامها باللام ، وهي صفة قوية لا يمكن التنازل لصوت آخر في الادغام ، وأكد الزجاج موقفه هذا في اظهار الراء عند اللام في موضع آخر عند توجيه قوله عزّ وجلَّ : ﴿ فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ [الفتح: ١١] بقوله : ((وقد رويتُ عن أبي عمرو (فاستغفلّنا) بالادغام وكذلك ... يغفلّكم ، ولا يجيز سيبويه والخليل

ادغام الراء في اللام .... ويذكرون أن ادغام الراء في اللام غير جائز ؛ لأن الراء عندهم حرف مكرر ، فاذا ادغم في اللام بَطُلَ هذا الاشباع الذي فيه)) [١٢٣] وفي مصطلح (الاشباع) اشارة الى قوة الراء بالتكرير الذي فيه .

وفي هذه المجموعة الصوتية أجاز الزجاج ادغام صوتي اللام والنون في الراء ، لأنه من باب ادغام الأضعف في الأقوى فضلاً عن التقارب المخرجي بينهما ، إذ قال : ((اللام تدغم في الراء ، والنون تُدغَم في الراء نحو قولك : هل رَأيتَ ، ومَن رَأيتَ ؟ ولا تدغم الراء في اللام ، إذا قلت : مُرْلي بشيء ، لأن الراء حرف مكرر ، فلو ادغمت ذهب التكرير)) [١٢٤] .

وفي موضع آخر من معانيه أختار الزجاج ادغام اللام في الراء ، للتقارب المخرجي وتمكن الراء بالتكرير الذي فيها ، إذ قال في توجيه الادغام في قوله عزّ وجلّ : ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ١٥٨] : ((ادغام اللام في الراء هو الكلام وعليه القراءة ؛ لأن اللام قريبة من مخرج الراء ، والراء متمكنة ، وفيها التكرار ، فلذلك أُختير الادغام فيها))[١٢٥] .

والتعليل نفسه ذكره في توجيه جواز ادغام اللام في الراء في قوله عز وجل : ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ ﴾ [المطففين: ١٤] إذ قال ((والادغام أجود ؛ لقرب اللام من الراء ، ولغلبة الراء على اللام)) [١٢٦] وهو هنا يوافق أكثر القراء في قراءة الادغام إلا حفصاً الذي آثر الاظهار في هذا الموضع بالسكتة الخفيفة على اللام [١٢٧] .

والزجاج في هذا الشكل من الادغام وافق الفراء ؛ لثقل الاظهار على اللسان [١٢٨] .

-ادغام اللام في الطاء والتاء :

أجاز الزجاج ادغام اللام في الطاء والتاء ، للتقارب المخرجي غير أنه لم يعلل إجازته لهذا الادغام في قوله عز وجل : ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ١٥٥] وكذلك : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الأعلى: ١٦] فتقول : بَطَّبعَ ، ويُؤثرون [١٢٩] .

-الادغام في مجموعة أصول الثنايا (ط – د – ت) :

في هذه المجموعة وجدت الزجاج لم يذكر شيئاً في ادغام الطاء ؛ لأنه صوت مطبق ، لا يتنازل عن صفة الاطباق ، لصالح الصوت المجاور له شأنه في ذلك شأن الراء ، وحالات الادغام التي أوردها لهذه المجموعة تعود للدال ، والكثير منها في ادغام التاء ، لشدة تأثرها بالأصوات المجاورة لها في البيئة الصوتية ففي ادغام الدال في الجيم ترى الزجاج يفضل الادغام على الاظهار، ويصفه بالأجود ، إذ قال في توجيه الادغام في قوله عز وجل : ﴿ فَقَدْ جَعَلْنَا ﴾ [الإسراء: ٣٣] : (والأجود ادغام الدال في الجيم ... لأن الجيم من وسط اللسان والدال من طرف اللسان ، والادغام جائز ؛ لأن حروف وسط اللسان قد تقترب من حروف طرف اللسان)[١٣٠].

ويُلاحظ أن الزجاج علل الادغام هنا بالتقارب المخرجي فقط من غير ذكر معيار التوافق في الصفات ومعيار القوة والضعف في حين أنه وجه ادغام الدال في السين في قوله عز وجل : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ ﴾ [المجادلة: ١] بالتقارب

المخرجي وقوة السين بالصفير اذ قال : " ادغام الدال في السين حسن ، لقرب المخرجين ، يُقرأ : قد سَّمعَ الله ، بإدغام الدال في السين ، لأن السين والدال من حروف طرف اللسان ، فإدغام السين في الدال تقوية للحرف " (١٣١) .

وفي قوله تعالى (تقوية للحرف) اشارة الى أن الدال بإدغامه في السين سيتحوّل الى السين الصفيري ، فتزيد قوته بالصفير .

-ادغام التاء في أصوات طرف اللسان :

صوت التاء أكثر الأصوات تأثراً بالأصوات المجاورة له في الصيغ الافرادية ، فأكثر حالات الادغام التي ذكرها الزجاج تبيّنُ ادغام التاء في المجموعات الصوتية التي يشترك طرف اللسان مع ما يقابله من الحنك الاعلى في اخراجها ، ومنها أصوات : الدال والطاء والصاد والزاي والسين ، والذال والظاء والثاء ، وسنفصل الكلام فيها ثم بيان رأي الزجاج في حسن ادغامها وتركه أي تفضيل الاظهار:

أ – ادغام التاء في الطاء في صيغة (تفاعل) :

أجاز الزجاج ادغام التاء في الدال في قوله عز وجل : ﴿ فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ ﴾ [البقرة: ٧٢] و ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ ﴾[النمل: ٦٦] وذلك لاشتراكهما في المخرج من طرف اللسان وأصول الثنايا ، إذ قال : " التاء ادغمت في الدال ، لأنهما من مخرج واحد ، فلما ادغمت سكنت ، فاجلبت لها ألف الوصل " (١٣٢) والتعليل نفسه ذكره في ادغام التاء في الطاء في قوله عز وجل : ﴿ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٣١] غير أنه حدد مخرج التاء والطاء المشترك في قوله : ((فادغمت التاء في الهاء ، لأنهما من مكان واحد من طرف اللسان وأصول الثنايا))(١٣٣) وتدغم التاء في أصوات المجموعة الاسنانية ؛ للتقارب المخرجي بينهما ، ومنه ادغام التاء في الثاء في نحو قوله عزّ وجلّ : ﴿ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [التوبة: ٣٨] إذ قال : ((المعنى : تَثاقلتم ، إلا أن التاء ادغمت في الثاء ، فصارت ثاء ساكنة فبتدئت بألف وصل)) (١٣٤).

ب – ادغام التاء في أصوات الصفير :

تدغم التاء في الزاي في قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَٱزَّيَّنَتۡ ﴾[يونس: ٢٤] اذ وصف الزجاج هذا الادغام بالجودة على الرغم من انه لم يفسر علة وقوعه ، إذ قال : ((المعنى : تَزينت فادغمت التاء في الزاي ، وسكنت الزاي فاجلبت لها ألف وصل .... وازّيّنت بالتشديد أجود في العربية)) (١٣٥) وفي موضع آخر أجاز ادغام التاء في الصاد ؛ للتقارب المخرجي في توجيه الزجاج لقوله عز وجل ﴿ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾ [التوبة: ٧٥] إذ قال : ((الاصل : لنتصدقن ، ولكن التاء ادغمت في الصاد ، لقربها منها)) (١٣٦) ومثله ادغام التاء في الصاد في قوله تعالى : ﴿

تَصَدَّىٰ ﴾[عبس:٦] إذ قال : ((ومن قرأ : تَصَّدى بادغام التاء فالمعنى أيضاً : تتصدى ، الا أن التاء ادغمت في الصاد، لقرب المخرجين : مخرج التاء من الصاد)) (١٣٧) .

وتدغم التاء في السين عند من قرأ بتشديد السين في قوله عز وجل : ﴿ تَسَآءَلُونَ ﴾ [النساء: ١] للتقارب المخرجي قال الزجاج : ((فالأصل تتسائلون ، وادغمت التاء في السين لقرب مكان هذا من هذا)) (١٣٨) وهي قراءة حفص عن عاصم وحمزة والكسائي (١٣٩) كما اشار الزجاج الى ادغام التاء في السين في قوله تعالى : ﴿ لَا يَسَّمَّعُونَ ﴾ [الصافات: ٨] من غير ذكر تعليل صوتي (١٤٠) .

نلاحظ أن اكثر تعليلاته الصوتية في ادغام التاء في أصوات الصفير معتمدة على التقارب المخرجي بينهما .

-ادغام التاء في صيغة (افتعل) :

من اشكال التأثر الكلي المقبل في حالة الاتصال ، تأثر تاء الافتعال بالطاء قبلها فتقلب طاءً مثل : اِطتلبَ واطّلبَ واِطْتَلعَ واِطَّلَعَ (١٤١) ، وتتأثر بالدال والذال وتقلب دالاً أو ذالاً نحو اِدّعى واذّكر وادّكر (١٤٢) .

ومن أمثلة التأثر المتبادل في هذه الصيغة (١٤٣) :

أ – تأثر تاء الافتعال بالدال قبلها نحو (ذَخرَ) أي (اذتخر) فتقلب التاء ذالاً (إذدَخرَ) وهذا من نوع التأثير المقبل الجزئي في حال الاتصال ، ثم تؤثر الدال في الذال ، فتقلبها دالا (ادَّخرَ) وهذا من نوع التأثير المدبر الكلي في حال الاتصال وجاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ [آل عمران: ٤٩] وقد بَيَّنَ الزجاج هذا التأثير في قوله : ((وإنما قيل : تدَّخرون ، وأصله : تذتخرون ، أي تفتعلون من الذُخر ؛ لأن الدال حرف مجهور والتاء مهموسة، فأبدل من مخرج التاء حرف مجهور يشبه الذال في جهرها ، وهو الدال ، فصار تذدخرون ثم ادغمت الذال في الدال ، وهذا أصل الادغام أن تدغم الأول في الثاني)) (١٤٤) .

ب – تؤثر الذال من (ذكرَ) في تاء الافتعال في الفعل (اِذتَكرَ) فتقلبها دالاً (إذدَكر) وهذا من نوع التأثير المقبل دالاً : (اِدَّكرَ) وهذا من نوع التأثير المدبر الكلي في حال الاتصال (١٤٥) ومنه قوله عز وجل : ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف:٤٥] وقد فطن الى هذا النوع من التأثير المتبادل في هذا الموضع إذ قال : " واِدّكرَ أصله واِذتكرَ ، ولكن التاء أبدل منها الدال ، وادغمت الذال في الدال " (١٤٦) وقال في : ﴿ مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٥] : ((وأصله مُذتَكِر بالذال في الدال ... ولكن التاء أبدل منه الدال .... فادغمت الذال في الدال وقال بعض العرب : مُذكِر بالذال معجمة ، فادغم الثاني في الأول ، وهذا ليس بالوجه ، إنما الوجه ادغام الأول في الثاني)) (١٤٧).

ويُفهم من كلام الزجاج أن في (مدّكر) نوعين من الادغام : أحدهما على أصل ادغام الأول في الثاني وهو المشهور :
مُذتَكِر ـــــــــــ مُذدكِر ـــــــــــ مُدَّكر (كلي مدبر) .
والآخر غير المشهور : مُذتكر ـــــــــــ مُذدكِر ـــــــــــ مُذَّكِر (كلي مقبل)
والزجاج يوافق المشهور في هذه الصيغة أي (مُدَّكر) بادغام الذال في الدال ؛ لأنه الأصل في الادغام .

-الادغام في الأصوات الأسنانية :

مجموعة الأصوات الاسنانية (الظاء والذال والثاء) ومخرجها من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا ، وقد ذكر الزجاج منها ادغام الذال في التاء في قوله عزّ وجلّ : ﴿ أَتَّخَذْتُمْ ﴾ [البقرة: ٥١] من غير بيان علة صوتية لوقوع الادغام ، إذ قال : ((واتخَتَم بادغام الذال في التاء ....)) [١٤٨] وعلة جواز الادغام تعود الى التقارب المخرجي بين الذال والتاء ، وضعف الذال في الموقع بسكونها .

وفي ادغام الثاء في التاء في قوله تعالى : ﴿ كَمْ لَبِثْتَ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] فسَّر الزجاج وقوعه بالتقارب المخرجي في قوله : ((وإنما ادغمت لقرب المخرجين))[١٤٩] .

ووصف ادغام ذال (إذ) في التاء من كلمة بعدها بأنه أجود من الاظهر وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَدْعُونَ ﴾[الشعراء:٧٢] للتقارب المخرجي بينهما ، إذ قال : ((إن شِئت بَيّنت الذال ، وإن شِئت ادغمتها في التاء ، فجعلتها تاءً فقلتَ : إتّدعون ، وهو أجود في العربية)) [١٥٠] .

ومما تقدم أخلص الى أن الادغام ظاهرة صوتية ، فيها تتأثر الأصوات المتماثلة والمتقاربة في المخرج والصفات بعضها ببعض طلباً للخفة ، والتخلص من ثقل اجتماع حرفان من جنس واحد او متقاربين ؛ لصعوبة رفع اللسان من موضع ثم اعادته الى الموضع نفسه أو قريب منه ، فالادغام وسيلة تسير للنطق واقتصاد في الجهد عند النطق ، والزجاج أهتم كثيراً بظاهرة الادغام في معانيه ، فذكر أصوله العامة ، وقد وافق الخليل وسيبويه فيها مبيّناً من خلال تعليلاته لما ذكره من أشكال الادغام : أن أكثره في حروف الفم وخصوصاً أصوات طرف اللسان ، ثم لاحظت أنه أوردَ حالات قليلة في حروف الحلق ؛ لقلتها وبُعد مخارجها من حروف الفم ووجدت الزجاج يعلل لوقوع الادغام فيما ذكر من اشكال الادغام بالتقارب المخرجي كثيراً ثم التوافق في الصفات ثم معيار الأقوى قليلاً .

ثالثاً : الهمزة بين التحقيق والتخفيف :

الهمزة صوت مجهور شديد مستثقل ، وهو أدخل الأصوات إلى الصدر من غيره ، لأنه يخرج من أقصى الحلق[١٥١] وهو عند المحدثين يخرج من المزمار في الحنجرة [١٥٢] .

والمتكلم يحتاج في اثناء نطقه الى جهد لثقلها ، فساغ فيها التخفيف : " لأنه بَعُدَ مخرجها ، لأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد ، وهي أبعد الحروف مخرجاً ، فثقل عليهم ذلك ، لأنه كالتهوّع " [١٥٣] ولما كان هذا حالها فقد تباينت اشكال نطقها بين التحقيق والتخفيف بالبدل وبين بين والحذف ، فمن العرب من يحقق الهمزة ويعطيها حقها من الأداء الصوتي، وما تتصف به من المخرج والصفات أي من أقصى الحلق مجهورة شديدة ، وهو الأصل فيها كسائر أصوات العربية .

ومن العرب من مال الى تسهيلها طلباً للخفة بأشكال ثلاثة : البدل وبين بين والحذف ، والتحقيق يُعزى الى تميم والتخفيف الى أهل الحجاز [١٥٤] وهذا حكم عام غير مقيد ؛ لأن من أهل الحجاز من يحقق الهمزة ، ومن بني تميم من يخفف الهمزة ، فلا توجد حدود فاصلة بين من يحقق الهمزة ومن يُسهلها ، وهذا الكلام على أصحاب القراءات القرآنية كذلك .

ومن خلال ما توفر لديَّ من مادة في معاني الزجاج قسمت مواضع ورود الهمزة على ما يأتي :

أ – الهمزة المنفردة في كلمة واحدة :

نسب الزجاج لغة تخفيف الهمزة الى أهل الحجاز في قوله عز وجل : ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ [البقرة: ٤] والتحقيق الى غيرهم يقصد تميم ، وذَكَر أن حكم الهمزة المضمومة الساكن ما قبلها ، أن تجعل بين الهمزة والواو باعتماد حركتها، إذ قال : ((إن شِئت حققت الهمزة في (أُنزِلَ) ... وهذه لغة غير أهل الحجاز ، فإما أهل الحجاز ، فيخففون بين الهمزة والواو)) [١٥٥] والزجاج أكثر اهتماماً بالتخفيف ؛ لأن التحقيق أصل لا إشكال فيه إلا ما وردَ مهموزاً على وجه الشذوذ على رأي النحاة في قراءة بعض ألفاظ القرآن الكريم لخروجها عن أقيسيتهم ، ومن ذلك رفضهم قراءة (معائش) بالهمز المروية عن نافع المدني في قوله عز وجل : ﴿ مَعَٰيِشَۗ ﴾[الأعراف: ١٠] بحجة أنه لا أصل لها في الهمز يقول الزجاج : ((وأكثر القراء على ترك الهمز في معايش ، وقد رووها عن نافع مهموزة ، وجميع النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ ، وفكروا أن الهمز إنما يكون في هذه الياء اذا كانت زائدة نحو صحيفة وصحائف ، فإما معايش فمن العيش ، الياء أصلية فيه))[١٥٦] ومثلها قراءة ﴿ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٦ – ٧] بالهمزة عن نافع المدني ، وأكثر القراء قرأوا بترك الهمزة فيها [١٥٧] .

وفي قوله عز وجل : ﴿ كَمَا سُـِٔلَ مُوسَىٰ ﴾ [البقرة: ١٠٨] وصف الزجاج تحقيق الهمزة فيها بالجودة ، وأقرَّ جواز تخفيفها بنطقها بين الهمزة وصوت حركتها ، يقصد بين الهمزة والياء وهو مذهب سيبويه [١٥٨] بلفظها (سُيلَ) ، ورأى

الزجاج أن الشكل النطقي يقصد (بين بين) تحكمه المشافهة والتلقي ، ولا يمكن ضبطه بالخط ، وهي اشارة ذكية منه الى أن الخط في بعض الاحيان يقف عاجزاً عن وصف الأداء النطقي لبعض أصوات العربية التي أصابها التغير أو التطور بمرور الزمن ومنها همزة بين بين والضاد القديمة والقاف والجيم وغيرها ، كما روى الزجاج عن قوم من الغرب لفظ (سُئِل) بتخفيف البدل : أي تخفيف الهمز بقلبها ياءً خالصة أي (سُيِلَ) ، وقد اشار الى ما ذكرنا من وجوه نطق الهمزة في (سُئِلَ) في قوله : " أجود القراءة بتحقيق الهمزة ، ويجوز جعلها بين بين ، أي بين الهمزة والياء فَيُلفظ بها سُيل ، وهذا إنما تحكمه المُشافهة ؛ لأن الكتاب فيه غير فاصل بين المُحقق والمُلَيّن ، وما جعل ياء خالصة ... وهي لغة حجاها جميع النحويين)) [١٥٩] .

هذا مثال الهمزة المكسورة المضموم ما قبلها ، أما مثال المضمومة المكسور ما قبلها فقوله عز وجل : ﴿ نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة: ١٤] فرأى الزجاج فيه أن التحقيق هو الأجود ؛ لأنه الأصل اما في الخفيف ، فأنه يختار وجه بين الهمزة والواو ، قال : ((القراءة الجيدة فيه بتحقيق الهمزة ، فأذا خففت الهمزة جعلت الهمزة بين الواو والهمزة ، فقلت : (مُستَهزئون) فهذا الاختيار بعد التحقيق)) [١٦٠] .

وفي قوله عزّ وجلّ : ﴿ هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ [المائدة: ٥٧] ذكر الزجاج لغات عدة في (هُزُوًا) منها تحقيق الهمزة وضم الزاي (هُزْءاً) وعَدّهُ الأصل والأجود ، ومنها : (هُزُواً) فتبدل من الهمزة واواً ، لانضمام ما قبلها وهي مفتوحة ، والضمة أقوى من الفتحة ، فيميل المتكلم إليها في تخفيف الهمزة المفتوحة المضموم ما قبلها [١٦١] .

ب – اجتماع الهمزتين في كلمة :

بَيّنَ الزجاج أحكام قراءة الهمزتين المجتمعتين في كلمة واحدة من تحقيق او تخفيف بالبدل وبين بين والحذف ، ومن الأمثلة التي ذكرها قوله عز وجل ﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ [البقرة: ٦] روى الزجاج تحقيق الهمزتين عن ابن أبي اسحاق ، ولم يذكر عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي [١٦٢] ، الذين قرأوا بتحقيقها في هذا الموضع.

وأخذ الزجاج بمذهب الخليل وسيبويه [١٦٣] في تخفيف الثانية منهما بين الهمزة والألف ؛ لاتفاقهما في حركة واحدة الفتحة ، ولأن الأولى : همزة استفهام جاءت لمعنى ، خففوا الثانية فصارت (أَأَنْذرتهم) وبين بين همزة مخففة قريبة من المتحركة ، وأرتضى هذا الوجه ، ومنع تخفيف الثانية بإبدالها ألفاً خالصة ؛ تجنباً لالتقاء الساكنين ؛ لأن النون بعدها ساكنة كذلك يقول الزجاج في بيان أوجه قراءة (أَأَنْذرتهم) : "وأما بعض القراء وابن ابي اسحاق وغيره فيجمعون في القراءة بينهما ، فيقرؤون : أَأَنْذَرتهم ، وكثير من القراء يخفف أحدهما ، وزعمَ سيبويه أن الخليل كان يرى تخفيف الثانية فيقول : أَأَنْذرتهم ، فيجعل الثانية بين الهمزة والألف ، ولا يجعلها ألفاً خالصة ، وإنما حق الهمزة إذا حُركت وانفتحَ ما قبلها أن تجعل بين بين ، أعني بين الهمزة وبين الحَرف الذي منه حركتها ، فتقول في سَأَلَ : سَاَلَ ، وفي رَؤُوف : رَؤُوف ، وفي بَئِسَ بَيس ، وهذا في الحكم واحد ، وإنما تحكمه المشافهة " .

فالزجاج حملَ حكم تخفيف الهمزتين في الكلمة الواحدة اذا كانتا مفتوحتين على حكم تخفيف الهمزة المفردة المفتوحة في الكلمة الواحدة كما ذكر في تخفيف (سَأَلَ الى سَالَ) بين الهمزة والألف ، ورَؤوف الى رَوُوف بين الهمزة والواو ، وبَئِس الى بَيِس بين الهمزة والياء ، والحركة المختلسة في الألف والواو والياء في الأمثلة المذكورة تدل على صوت (بين بين) الذي لا يمكن اتقانه الا بالمشافهة والتلقي من أفواه القراء المجوّدين .

وفي قوله عز وجل : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ ﴾ [النمل: ٥٥] ذكر الزجاج ثلاثة أوجه في قراءة (ضح) ، الأول: تحقيق الهمزتين ، والثاني : تخفيفها بإدخال ألف بينهما (أَاإنكم) والثالث : جعل الهمزة الثانية بين الهمزة والياء (أَيِنكم) وهو الأجود عنده [١٦٤] .

وتكَلَّمَ الزجاج في أوجه الهمز في : ﴿ أَئِمَّةَ ﴾ [التوبة: ١٢] و[السجدة: ٢٤] ، وذكر مذهبين فيها :

الأول : قراءة أهل الكوفة عاصم وحمزة والكسائي بتحقيق الهمزتين [١٦٥] ، ومعهم ابن ابي اسحاق من نحاة البصرة .

الثاني : مذهب الخليل وسيبويه وأكثر البصريين خففوا الثانية منهما بقلبها ياءً (أَيمة) واختار الزجاج قراءة التخفيف على وفق المذهب البصري ، وعَدّ تحقيق الهمزتين خروجاً عن نحاة البصرة يقول الزجاج : ((أكثرُ البصريين لا يُجيزون (أئمة) بهمزتين ، وابن ابي اسحاق يجيز اجتماع همزتين ، وسيبويه والخليل وجميع البصريين إلا ابن أبي اسحاق يقولون : أيمة بهمزة وياء ...)) [١٦٦]

ت – اجتماع الهمزتين من كلمتين :

أكثر المواضع التي ذكرها الزجاج في اجتماع الهمزتين من كلمتين في الهمزتين المتحركتين بحركتين متماثلين ، أي في المفتوحتين والمكسورتين والمضمومتين ، ومن الأمثلة التي ذكر فيها وجوه التخفيف بشيء من التفصيل قوله عز وجل في المفتوحتين : ﴿ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد: ١٨] وفيها أوردَ الزجاج مذهبين في التخفيف :

الأول : نسبه الى ابي عمرو بن العلاء تمثل في تخفيف الأولى وتحقيق الثانية أي (جا أشراطها) ، والثاني : مذهب الخليل الذي يرى فيه تحقيق الأولى وتخفيف الثانية بإبدالها ألفاً قياسياً على آدم وآخر وتلفظ (جاءَ اشراطها) وقد وصف الزجاج مذهب أبي عمرو بالجيد ، ومذهب الخليل بالأقيس ، إذ قال : ((وَزَعَمَ سيبويه[١٦٧] أن جماعة من العرب يقرؤون : (فقد جا أَشراطها) يحققون الهمزة الثانية ويخففون الأولى ، وهذا مذهب أبي عمرو بن العلاء ، وأما الخليل فيقول بتحقيق الأولى فيقول : (فقد جاءَ اشراطها) قال الخليل : وإنما اخترتُ تخفيف الثانية لأجماع الناس على بدل الثانية في قولك : آدم وآخر ؛ لأن الأصل في آدم : أأْدم وفي آخر : أأْخر ، وقولك الخليل أقيس ، وقول أبي عمرو جيد أيضاً))[١٦٨] .

وفي الهمزتين المكسورتين في نحو قوله عز وجل :﴿ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ [النور: ٣٣] والمضمومتين في نحو قوله تعالى : ﴿ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ [الأحقاف: ٣٢] ذكر الزجاج مذهبي أبي عمرو والخليل فيهما ، إذ حقق أبو عمرو الثانية ، وخفف الأولى بوجه (بين بين) أي يجعل (الهمزة الأولى من البغاءِ بين الهمزة والياء ويكسرها، ويجعل الهمزة في قولك : أَولياءُ بين الهمزة والواو ويضمهما) [١٦٩] وأما مذهب الخليل وسيبويه الذي أورده الزجاج فيقضي بتحقيق الأولى وتخفيف الثانية على وجه (بين بين) ففي المضمومتين تنطق الثانية (بين الواو والهمزة فقال : (أولئك وولئكَ) والمكسورة بين الياء والهمزة فقال : (البغاءِين) [١٧٠] والمذهب الثالث : تحقيق الهمزتين وعزاه الى ابن ابي اسحاق وجماعة من القراء ، يقصد عاصم وحمزة والكسائي كما أشرت في تحقيق الهمزتين في (أَأَنذرتكم).

وخلاصة القول في وصف احكام الهمزة بين التحقيق والتخفيف ، أشار الى وجه القراءات في الألفاظ القرآنية التي اختار الكلام عليها ، واهتم كثيراً بأوجه تخفيف الهمزة : البدل وبين بين والحذف ، وذكر لنا حقيقة في همزة بين بين مفادها أنها شكل نطقي لا يمكن ضبطه بالخط والكتاب ، وانما بالمشافهة والتلقي من أفواه شيوخ الإقراء المشهورين بالضبط والاتقان ، ولاحظت في منهج عرضه لمواضع الهمز اعتماده الكبير على كتاب سيبويه في كشف علل القراءات وحججها غير أنه لم ينسب كثيراً منها الى أصحابها ، وهي من أهم المآخذ عليه في معانيه بشكل عام .

-الانسجام الصوتي في المصوتات :

بعد الفراغ من الكلام على أهم مظاهر تقريب الصوت من الصوت في الصوامت ، طلباً للخفة والسهولة في النطق وابرزها الادغام والابدال وتخفيف الهمز ، نفصّل الكلام في الظواهر الصوتية الناشئة من تأثر المصوتات بعضها ببعض في التشكيل الصوتي ، لتحقيق التماثل الصوتي ابتغاء الخفة واقتصاد الجهد المبذول في النطق وأكثرها اهتماماً في معاني الزجاج :

-الاتباع :

الاتباع من الجانب الصوتي : ضرب من ضروب التأثر الصوتي بالحركات القصيرة (المصوتات القصيرة) الواقعة في الحروف المتجاورة في الكلمة الواحدة ، أو بين الحرف الاخير من الكلمة الأولى والحرف الاول من الكلمة التي تعقبها ، وقد أدركَ الزجاج هذه الظاهرة ؛ لأن من سنن العرب في كلامهم أن يُقرّبوا الأصوات بعضها من بعض ، لما في لذلك من التجانس الصوتي ، والتماس الخفة في النطق [١٧١] ومن اشكالها عند الزجاج :

أ – كسر الثاني لكسرة الأول : مثل (فَلِأمِهِ)

اشار الزجاج الى حصول الاتباع في نحو قوله عز وجل : ﴿ فَلِأُمِّهِ ﴾ [النساء: ١١] .

فالأكثر في القراءات ضم الهمزة وقد قُرِئَ بكسر الهمزة اتباعاً لكسرة ما قبلها ، وهي قراءة حمزة والكسائي[١٧٢] والكسائي[١٧٢] يقول الزجاج : " تُقرأ بضم الهمزة ، وهي أكثر القراءات ، وتُقرأ بالكسر فَلِأمِهِ ... لأن قبل الهمزة كسرة

فاستثقلوا الضمة بعد الكسرة ، وليس في كلام العرب مثل فِعْل بكسر الفاء وضم العين ... فأبدل من الضمة كسرة "[١٧٣]، وهو من نوع التأثر المقبل الكلي في المصوتات القصيرة .

ب – ضم الثاني لضمة الأول : (الحمدُ لُلهِ) :

وهو من نوع التأثر المقبل الكلي في المصوتات القصيرة ومنه قراءة : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ [الفاتحة: ٢] : (الحمدُ لُلهِ) بضم اللام لضمة الدال ، وهي قراءة ابراهيم بن أبي عبلة [١٧٤] أما قراءة (الحمدِ للهِ) التي تعزى الى الحسن البصري[١٧٥] فهي من نوع تأثر السابق باللاحق ؛ أي الأول بالثاني ، وتدخل في التأثر المدبر الكلي في المصوتات القصيرة ، وقد أنتقد الزجاج قراءة الحسن البصري (الحمدِ للهِ) وعَدَّها من اللغات التي لا يُلتفتُ إليها لتغييرها حركة الاعراب مما يُخلُ في الاعراب والمعنى ، قال الزجاج : " وقد روي عن قوم من العرب : الحمدِ للِهِ ، وهذه لغة مَنْ لا يُلتفت إليه ، ولا يُتشاغل بالرواية عنه " [١٧٦] .

ت – كسر الأول لكسرة الثاني :

مثاله : (سِخْريا) فمن قرأ : ﴿ سِخۡرِيّٗا ﴾ [المؤمنون: ١١٠] بكسر السين (سِخرِيا) آثر اتباع حركة السين لحركة الراء بعدها ، ونوعه مدبر كلي ، وفي توجيه (سِخرِيا) يقول الزجاج : ((ويُقرأ بالضم والكسر ، وكلاهما جيد ، إلا أنهم قالوا : إن بعض أهل اللغة قال : ما كان من الاستهزاء فهو بالكسر ، وما كان من جهة التسخير فهو بالضم ، وكلاهما عند سيبويه والخليل واحد ، والكسر لاتباع الكسر احسن)) [١٧٧] يلاحظ في كلام الزجاج اشارة عن أهل اللغة في وجود تغير دلالي عند تعاقب الضمة والكسرة على السين ، فسُخرِيا بالضم يدلُ على التسخير ، وبالكسر (سِخريا) يدل على الاستهزاء ، في حين روى عن الخليل وسيبويه أنهما بمعنى واحد ، وفرق بينهما .

ومنه كذلك قوله عز وجل : ﴿ جِثِيّٗا ﴾ [مريم: ٦٨] إذ أشار الزجاج الى أن أصلها الضم ، ويجوز كسر الجيم إتباعاً لكسرة الياء (جِثِيّا) وذلك في قوله : ((والأصل ضم الجيم ، وجائزٌ كسرها إتباعاً لكسرة الياء))[١٧٨] ومن كسر السابق لكسر اللاحق كذلك : قراءة قوله عز وجل : ﴿ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] : (بِيُوت النبي) بكسر باء بيُوت إتباعاً للياء ، وهي قراءة مروية عن عاصم وأهل الكوفة يقول الزجاج : " القراءة بضم الباء ، وقد رويت عن عاصم (بِيُوت) بكسر الباء ، وعن جماعة من أهل الكوفة ، وليس يروي البصريون (بِيوَت) بكسر الباء ، بل يقولون : إن الضم بعد الكسر ليس موجوداً في كلام العرب ولا في اشعارَها ، والذين كسروا فكأنهم ذهبوا الى اتباع الياء " [١٧٩] ومنه كسر الحاء في : ﴿ حُلِيِّهِمۡ ﴾ [الأعراف: ١٤٨] لكسرة اللام أي (حِلِيهم) قال الزجاج : ((ومن كسرَ الحاء فقال: من حِلِيهم ، أتبع الحاء كسر اللام)) [١٨٠] .

ث – ضم السابق لضمة اللاحق :

في توجيه الزجاج لقراءة أبو جعفر المدني لقوله عزّ وجلّ : ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ﴾ [البقرة: ٣٤] : (للملائِكةُ أُسجُدُوا) وصف هذه القراءة بالغلط ، لتغييرها اعراب (الملائكة) من الخفض الى الرفع ، وهذا يُعدّ خروجاً عن قواعد النحو العربي فالاتباع تعارض هنا مع النحو ؛ لذلك تركه أكثر القراء ، وتفردَ به أبو جعفر المني فضم تاء الملائكة على الاتباع لضمة همزة الوصل في أُسجدوا ؛ لثقل الخروج من كسر الى ضم ، يقول الزجاج : ((وقرأ أبو جعفر المدني وحده (للملائِكةُ اسْجُدُوا) بالضم ، وأبو جعفر من جلةِ أهل المدينة ، وأهل الثبت في القراءة إلا أنه غلط في هذا الحرف ؛ لأن الملائكة في موضع خفض ، فلا يجوز أن يُرفع المخفوض))[١٨١].

ثانياً : الإمالة والفتح :

يمكن تعريف الامالة بأنها : تقريب الفتحة من الكسرة ، والألف نحو الياء ، وإنما بدأوا بالفتحة ؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن حروف المد واللين مسبوقة بحركات من جنسها ، يقول مكي القيسي (٤٣٧هـ) : " اعلم أن معنى الامالة : هو تقريب الألف نحو الياء ، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة " [١٨٢] وعَدَّ الزجاج الامالة لغة تميم وأهل العراق ، والفتح لغة أهل الحجاز ، ووصفها بالعليا والقُدمى ، إذ أوردَ ذلك في توجيه الفتح والإمالة في قوله عزّ وجلّ : ﴿أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٤١] إذ قال : ((اللغة العليا والقدمى الفتح في الكاف ، وهي لغة أهل الحجاز ، والامالة في الكاف أيضاً جيد بالغ في اللغة .... والامالة لفة بني تميم وغيرهم من العرب ، ولسان الناس الذين هم بالعراق جار على لفظ الامالة ، فالعرب تقول : ((هذا عابِد وهو عابِد فيكسرون ما بعدها)) [١٨٣] فالزجاج سَمّى الامالة الكسر يقابلها الفتح والامالة لغة من لغات العرب يميل أصحابها الى تحقيق الانسجام الصوتي في كلامهم ، ابتغاء الخفة في النطق ، وهو تميم وأهل العراق في حين يبقى أهل الحجاز على الفتح (الأصل) من غير إمالة ، ويلاحظ أن الزجاج عَدَّ الكسرة بعد الألف أهم اسباب الامالة ، وكذلك الياء المجاورة للألف ، ثم إمالة الألف التي أصلها ياء ، يقول في بيان علة إمالة (جاءَ) : ((والامالة الى الكسر لغة بني تميم وكثير من العرب ، ووجهها أنها الأصل من ذوات الياء ، فأمليت لتدلّ على ذلك))[١٨٤] وبالمقابل يمكن القول : إنّ التفخيم في الألف يدل على أن أصلها الواو ، فالامالة ما دامت متأصلة في ذوات الياء فيمكن عَدَّها وسيلة لمعرفة أصل الألف وكذلك الفتح أو التفخيم ، فانه قد يدل على أن اصل الألف الواو ، والزجاج بذلك يربط الامالة والفتح بالتصريف والاشتقاق ، وفي تفسيره لإمالة ضحاها من قوله تعالى ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: ١] أشار الزجاج الى أن الامالة من مصطلحات الخليل وأنها تكون في ذوات الياء ، إذ قال : ((وهذا الذي يسميه الخليل وأبو عمرو الامالة ، وإنما كُسِرَ من هذه الحروف ما كان منها من ذوات الياء ؛ ليَدلوا على أن الشيء من ذوات الياء ، ومن فتح ضحاها وتلاها وطحاها ؛ فلأنه من ذوات الواو)) [١٨٥] .

وهنا اكد على مسألة ربط الامالة والفتح بأصل الألف في بنية الكلمة ، وفضّلَ استعمال مصطلح الكسر بدل الامالة تأثراً بالفراء والاخفش قبله [١٨٦] .

-موانع الامالة :

أشار الزجاج الى ترك الامالة في أبنية العربية وتفصيل الفتح والتفخيم اذا وَقَع قبل الفتحة والألف أو بعدها أحد أصوات الاطباق والاستعلاء : (الضاد والصاد والطاء والظاء والغين والخاء والقاف) لأن هذه الأصوات المفخمة تؤثر على الألف، فيصبح مفخماً عند مجاورتهما في التشكيل الصوتي وقد أشار الى تفخيم الألف عند وقوعه بعد الأصوات المفخمة في صيغة (فَاعِل) إذ قال : ((فالعرب تقول : هذا عَابِد وهو عِابِد فيكسرون ما بعدها إلا أن تدخل حروف الاطباق وهي : الطاء والظاء والصاد والضاد ، لا يجوز في قولك : فلان ظَالِم : ظِالِم ممال ، ولا في طَالِب : طِالِب ممال ، ولا في صَابِر : صِابِر ممال ، ولا في ضَابِط : ضابِط ممال وكذلك حروف الاستعلاء ، وهي الخاء والغين والقاف ، ولا يجوز في غَافِل : غِافِل ممال ولا في خَادِم : خِادِم ممال، ولا في قَاهِر : قِاهِر ممال)) [١٨٧] وتأثر الألف بالصوت المفخم حقيقة أقرّها الدرس الصوتي الحديث يقول الدكتور سلمان العاني : ((حينما يوجد صوت ساكن مفخم داخل المقطع ، يفخم كل المقطع بل ربما يمتد نفوذ المفخم الى المقاطع المجاورة)) [١٨٨] .

والتفخيم ضد الامالة في آلية النطق ؛ لارتفاع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك مع الألف المفخمة ، في حين أن أقصى اللسان في الألف الممالة ينحدر الى قاع الفم مستوياً .

-أثر الراء في إمالة الألف :

قد تؤثر الراء في إمالة الألف ، اذا جاءت مكسورة بعد الأف لقوة الكسرة في الراء المكررة ؛ إذ تصير الكسرة مكررة كالراء كأنها كسرتان أو ربما اكثر ، فيتضاعف تأثيرها على الألف ، لذلك يُمال الألف معها ، وهذا مذهب أبي عمر بن العلاء ، يقول الزجاج في إمالة (النارِ) من قوله عز وجل : ﴿ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [الأنعام: ٢٧] : ((القراءة أكثرها بالفتح والتفخيم ، والامالة حسنة جيدة ، وإنما حنت الامالة .... لأن الراء بعد الألف مكسورة ، وهي حرف مكرر في اللسان ، الكسرة فيه كالكسرتين)) [١٨٩] واذا زالَ السبب المحدث للإمالة أي الكسرة في الراء ، وصارت حركة الراء الضمة او الفتحة تحوّلت الراء الى التفخيم في هذا الموقع ثم تفخم الألف المجاورة لها ، نحو (فازَ الابرارُ ، وصِمتُ النهارَ) .

مما تقدم أخلص الى أن الزجاج عَدَّ الاتباع والامالة من اشكال الانسجام الصوتي بين المصوتات في الشكل الصوتي ، وغرضها تحقق الخفة والسهولة في النطق ، وانه لم يعط تعريفاً لهما بل اكتفى بالإشارة لهما في توجيه القراءات القرآنية وتعليلها ، وفصّل في الامالة اكثر من الاتباع ، فذكر ثلاثة من اسباب وقوع الامالة : الكسرة والياء والألف المنقلبة عن الياء ، وعزى الإمالة الى تميم وأهل العراق ، والفتح والتفخيم الى أهل الحجاز ، وذكر موانع الامالة ، وأثر الراء(المكسورة) ساقطة في إمالة الألف على مذهب أبي عمرو بن العلاء .

الخاتمة

بعد الدراسة الدقيقة لمواضع المادة الصوتية في معاني القرآن واعرابه للزجاج ، خلص البحث الى نتائج أهمها :

١ – إن الجهود الصوتية للزجاج وجدت مبثوثة في معانيه مختلطة مع غيرها من المسائل اللغوية والنحوية والصرفية ، اذ لم يخصص لها الزجاج مباحث أو فصولاً مستقلة في معانيه .

٢ – سار الزجاج في درسه الصوتي على وفق المذهب البصري ، وقد صرّح بذلك في مواضع عدة من معانيه ، وأن اهم مصادره في دراسته الصوتية : الخليل وسيبويه والأخفش والمبرد وابو اسحاق اسماعيل بن اسحاق القاضي ، وقد اشار الى ذلك صراحة في معانيه ، ومن المذهب الكوفي صرح بالأخذ عن الكسائي والفراء عند الرد على مسائل صوتية خالفهم فيها .

٣ – إن جوانب الدرس الصوتي عند الزجاج في معانيه كانت غير متكاملة ؛ لأنه لم يفصل الكلام في كل مخارج أصوات العربية وصفاتها ، كما فعل الخليل وسيبويه وشيخه المبرد ، وإنما عنى بقسم كبير منها ، مما يكثر فيها حصول التغيرات الصوتية من ادغام وابدال كالأصوات اللثوية (ل – ن – ر) والاسنانية اللثوية (ط – د – ت – س – ص – ز) والاسنانية (ظ – ذ – ث) .

٤ – لم أجد في معاني الزجاج تعريفاً ، لما ذكره من صفات صوتية والتعريف الوحيد الذي ذكره لصفتي الجهر والهمس نسبه سهواً للخليل ، ربما بقصد أن ما جاء في كتاب سيبويه من أفكار الخليل ، أو لعله وهم عفوي من غير قصد ، أو قد يكون من عمل الناسخ .

٥ – أهتم الزجاج بذكر الصفات القوية التي لها أثر كبير في الادغام والابدال كالجهر والاطباق والاستعلاء والصفير والتكرار والغنة .

٦ – عنى الزجاج بظاهرة الادغام عناية كبيرة ، وبَيَّن غرضها المتمثل في ابتغاء الخفة والسهولة في النطق ، وقد وافق سيبويه في أصولها ومسائلها ، واستعمل الزجاج معايير ثلاثة في وصف الادغام بالحسن : التقارب المخرجي بين الصوت المؤثر والمتأثر ، والتوافق بينهما في الصفات وغلبة الأقوى على الأضعف .

٧ – عرض الزجاج لأحكام الهمزة بين التحقيق والتخفيف بالبدل وبين بين والحذف ، وأشار الى مسألة مهمة في همزة بين بين ، وهي أن هذا الصوت لا يمكن ضبطه واتقانه بالخط والكتاب ، وإنما بالمشافهة والتلقي من أفواه القراء المشهورين بالقراءة الصحيحة .

٨ – في الامالة : ذكر الزجاج غرضها في تحقيق الانسجام الصوتي بين المصوتات ، طلباً للخفة في النطق ، وبَيَن اسبابها ، وربط الزجاج الامالة والفتح بالجانب الصوفي والاشتقاقي ، فما كان من ذوات الياء من الكلمات جاز فيها الامالة ، وما كان من ذوات الواو يُفتَح ويُفَخَم .

انتهى بحمد الله وفضله

هوامش البحث

(١) ينظر : في ترجمة الزجاج : أخبار النحويين البصريين : ٨٠-٨١ ، والفهرست : ٦٦ ، ومعجم الأدباء : ١٥٠/١.

(٢) ينظر : معاني القرآن واعرابه : ٢٩٦/٣.

(٣) ينظر : معاني القرآن واعرابه : ٧/٤ و ١٢٥/٤.

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٢٢٦/٣.

(٥) ينظر : الفهرست : ٦٦ ، ومعجم الأدباء : ١٥٠/١.

(٦) ينظر : الزجاج حياته وآثره ومذهبه في النحو : ٤٣.

(٧) ينظر : المصدر نفسه : ٣٦-٤٣ ، وينظر : النحو القرآني بين الفراء والزجاج والزمخشري : ٢٣-٢٦.

(٨) ينظر الدراسات اللغوية عند العرب (د آل ياسين):١٠٣.

(٩) ينظر : معاني القرآن واعرابه (مقدمة المحقق) ٣٢/١.

(١٠) ينظر : معجم الادباء ١٣٠/١.

(١١) معاني القرآن واعرابه : ٤٥/١.

(١٢) ينظر : المصطلح الصوتي في كُتُب معاني القرآن : ١٥.

(١٣) معاني القرآن وإعرابه : ٢٩٨/٢.

(١٤) ينظر : الكتاب : ٤٣٣/٤.

(١٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٦٦/١ و ٣٤٣/٣ و ٤٣٠ و ٥٣٣.

(١٦) ينظر : الكتاب : ٤٣٤/٤.

(١٧) معاني القرآن واعرابه : ٣٤٩/١.

(١٨) المصدر نفسه : ٦٨/٥.

(١٩) ينظر : المصدر نفسه : ١١/٢ و ١٠٧/٢ و ١٩/٥.

(٢٠) ينظر : الكتاب : ٤٤٨/٤.

(٢١) معاني القرآن واعرابه : ٣٣٥/٢.

(٢٢) ينظر : اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : ٢٣.

[٢٣] ينظر : معاني القرآن واعرابه : ٣٢٦/٤ ، وينظر : السبعة في القراءات : ٣٠ .

[٢٤] ينظر : المصدر نفسه : ٢٦٦/٥ ، وينظر : إتحاف فضلاء البشر : ٢٢٤.

[٢٥] ينظر : المصدر نفسه: ٢٢٥/٣ ، وينظر : المختصر في شواذ القراءات : ٧٩.

[٢٦] ينظر : المختصر في شواذ القراءات : ١٩.

[٢٧] معاني القرآن واعرابه : ٣١٦/١ و ٦٣/٣.

[٢٨] ينظر : المصدر نفسه : ٨٦/١.

[٢٩] ينظر : المصدر نفسه: ٣٣٥/١ و ١٩/٥ و ١٣٥/٥ و ١٧٧/٥.

[٣٠] ينظر : المصدر نفسه : ٣٥١/٢ و ١٥٩/٤.

[٣١] ينظر : معاني القرآن واعرابه : ١٩٢/٢ و ٢٩٠/٤.

[٣٢] معاني القرآن واعرابه : ٥٥/١.

[٣٣] المصدر نفسه : ٧٣/١.

[٣٤] ينظر : الكتاب : ٤٣٣/٤.

[٣٥] ينظر : العين : ١/ ٥٧ – ٥٨.

[٣٦] ينظر : دراسة الصوت اللغوي : ١١٧.

[٣٧] الكتاب : ٤٣٣/٤.

[٣٨] معاني القرآن واعرابه : ٢٨٤/٢.

[٣٩] المصدر نفسه : ١٣٧/٥.

[٤٠] الأصوات اللغوية : ١٨ .

[٤١] ينظر : الكتاب : ٤٣٣/٤.

[٤٢] ينظر : العين : ٥٧/١–٥٨.

[٤٣] ينظر : معاني الزجاج : ٦٩/١ و ١٣٦/٥ و ١٣٧ ، وينظر : الكتاب : ٤٤٩/٤.

[٤٤] الكتاب : ٤٣٣/٤.

[٤٥] معاني القرآن واعرابه : ٥٣/٢.

[٤٦] المصدر نفسه : ١٩٤/٣.

[٤٧] ينظر : الأصوات اللغوية : ٧٦ ، وعلم اللغة العام (الأصوات) : ٩١ ، ودروس في علم اصوات العربية : ٢٣.

[٤٨] معاني القرآن واعرابه : ١٠٤/٢.

[٤٩] العين : ٥٨/١.

[٥٠] ينظر : علم اللغة العام (د. بشر) : ١٢٩.

[٥١] معاني القرآن واعرابه : ١٢٥/٢ ، وينظر : معاني القرآن للفراء : ١٧٢/١.

[٥٢] الكتاب : ٤٣٣/٤.

[٥٣] معاني القرآن واعرابه : ١٠٥/٥.

[٥٤] المصدر نفسه : ١٠٥/٥.

[٥٥] ينظر : مفهوم القوة والضعف في اصوات العربية : ٨٥.

[٥٦] ينظر : المدخل الى علم اللغة : ٤٦.

[٥٧] ينظر : دروس في علم أصوات العربية : ٢٣.

[٥٨] معاني القرآن واعرابه : ٢٠/٤.

[٥٩] الكتاب : ٤٣٣/٤.

[٦٠] ينظر : علم اللغة العام (د. بشر) : ٨٩.

[٦١] معاني القرآن واعرابه : ٢١١/٥.

[٦٢] ينظر : الكتاب : ٤٣٤/٤.

[٦٣] ينظر : المصطلح الصوتي في كتب معاني القرآن : ٦٢.

[٦٤] ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٢٢٧.

[٦٥] ينظر : المصطلح الصوتي في الدراسات العربية : ٨٩ ، ومعجم الصوتيات : ٧٩ .

[٦٦] الكتاب : ٤٣٤/٤.

[٦٧] معاني القرآن واعرابه : ٣٤٩/١.

[٦٨] ينظر : الخليل بن احمد الفراهيدي : ١١٤.

[٦٩] ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ١٢٨ هامش (٤١) .

[٧٠] نقلاً عن الأصوات اللغوية : ١٢٠ ، وينظر : المصطلح الصوتي في كتب معاني القرآن : ٩٢.

(٧١) ينظر : التمهيد من هذا البحث : ٩ .

(٧٢) ينظر : المصطلح الصوتي في الدراسات العربية : ٩٧.

(٧٣) ينظر : الأصوات اللغوية : ٦٢.

(٧٤) معاني القرآن واعرابه : ١٣٢/١.

(٧٥) ينظر : المصطلح الصوتي : ١٣٩ ، ومعجم الصوتيات : ٣٥ (د. الصيغ) .

(٧٦) معاني القرآن واعرابه : ١١٣/١.

(٧٧) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٢٩٣ ، والمصطلح الصوتي في كتب معاني القرآن : ٧٧.

(٧٨) معاني القرآن واعرابه : ١٩٢/٢.

(٧٩) الكتاب : ٤٣٥/٤.

(٨٠) علم اللغة (المقدمة) : ١٧١.

(٨١) معاني القرآن واعرابه : ٣٣٥/١.

(٨٢) المصدر نفسه : ١٩٣/٢.

(٨٣) ينظر : معجم الصوتيات : ١١٣ ، وينظر : المصطلح الصوتي في كتب معاني القرآن : ١٠٤.

(٨٤) الكتاب : ٤٦٤/٤.

(٨٥) معاني القرآن واعرابه : ١٠٥/٥.

(٨٦) ينظر : الكتاب : ٤٣٥/٤ ، والاصوات اللغوية : ٦٦.

(٨٧) معاني القرآن واعرابه : ١٨٢/٣.

(٨٨) معجم الصوتيات : ١٤٣ ، والمصطلح الصوتي : ١٧١.

(٨٩) مفهوم القوة والضعف : ٤١.

(٩٠) معاني القرآن واعرابه : ١٣٢/٥ وينظر : الكتاب : ٤٥٧/٤.

(٩١) المصدر نفسه : ٢٣١/٥.

(٩٢) ينظر : معاني القرآن واعرابه : ١٠٩/١ و ٣٠١ و ٣٦٤.

(٩٣) شرح المفصل : ٧/١٠.

(٩٤) ينظر : المصطلح الصوتي في الدراسات العربية : ٢٢٩.

[٩٥] معاني القرآن واعرابه : ٤٠/٣ .

[٩٦] المصدر نفسه : ٦٨/٥.

[٩٧] المصدر نفسه: ٢٨٠/١.

[٩٨] ينظر : مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية : ١٢٥.

[٩٩] معاني القرآن واعرابه :٢٨٤/٣.

[١٠٠] المصدر نفسه: ٢٧٠/٥.

[١٠١] المصدر نفسه : ٢٢٥/٥.

[١٠٢] معاني القرآن واعرابه : ٢٢٦/٤.

[١٠٣] الكتاب : ٤٢٤/٤.

[١٠٤] معاني القرآن واعرابه : ٣٣٧/١ و ١٤/٢ .

[١٠٥] ينظر : المصدر نفسه ، ٢٩٣/١ و ٢٥٤/٥.

[١٠٦] ينظر : المصدر نفسه: ٢٥٤/٥ وينظر : معاني القرآن للفراء : ٢٦٧/٣.

[١٠٧] معاني القرآن واعرابه : ٢٩٩/٢.

[١٠٨] المصدر نفسه : ٢٠٨/٥.

[١٠٩] ينظر : الكتاب : ٤٦٤/٣ ، والخصاص : ٢٠٧/٣.

[١١٠] ينظر : شرح المفصل (لابن يعيش) : ١٢١/١٠ .

[١١١] الكتاب : ٥٣٠/٣ و ٤٧١/٤ .

[١١٢] ينظر : النشر في القراءات العشر : ٢٧٤/١.

[١١٣] ينظر : المصدر نفسه : ٢٧٥/١.

[١١٤] ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٣٩٥.

[١١٥] معاني القرآن واعرابه : ٦٩/١ .

[١١٦] ينظر : الكتاب : ٤٤٩/٤ .

[١١٧] ينظر : معاني القرآن واعرابه : ١٣٧/٥.

[١١٨] ينظر : المختصر في شواذ (قراءات) القرآن : ٧٨.

[١١٩] معاني القرآن واعرابه : ٢٢٥/٣.

[١٢٠] ينظر : اعراب ثلاثين سورة في القرآن الكريم : ٢٣.

[١٢١] معاني القرآن واعرابه : ٣٣٥/١.

[١٢٢] ينظر : الكتاب : ٤٤٨/٤.

[١٢٣] معاني القرآن واعرابه : ١٩/٥.

[١٢٤] المصدر نفسه : ٣٣٥/١.

[١٢٥] المصدر نفسه : ١٠٤/١.

[١٢٦] المصدر نفسه: ٢٣١/٥.

[١٢٧] ينظر : السبعة في القراءات : ١٢٠.

[١٢٨] معاني القرآن ، وينظر : معاني القرآن للفراء : ٤٥٣ و ٤٥٤.

[١٢٩] ينظر : معاني القرآن واعرابه : ١٠٣/٢.

[١٣٠] المصدر نفسه: ١٩٤/٣ ، لإدغام قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي ، ينظر : السبعة : ١١٩.

[١٣١] معاني القرآن واعرابه : ١٠٥/٥ ، والادغام قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي ، ينظر : السبعة ١١٩.

[١٣٢] معاني القرآن واعرابه : ١٣٨/١ ، وينظر : ٩٧/٤.

[١٣٣] المصدر نفسه : ٢٩٨/٢.

[١٣٤] معاني القرآن واعرابه : ٢٦١/٢ ، وينظر : معاني الاخفش : ٢٩٦/٢ و ٣٣١.

[١٣٥] معاني القرآن واعرابه : ١٣/٣.

[١٣٦] المصدر نفسه : ٣٧٣/٢.

[١٣٧] المصدر نفسه: ٢٢١/٥.

[١٣٨] المصدر نفسه : ٥/٢.

[١٣٩] ينظر : السبعة في القراءات : ٥٤٧.

[١٤٠] ينظر : معاني القرآن واعرابه : ٢٢٥/٤-٢٢٦.

[١٤١] ينظر : المصدر نفسه: ٩٢٢/٤.

[١٤٢] ينظر : المصدر نفسه : ٩٢/٣.

[١٤٣] ينظر : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه : ٤٩.

[١٤٤] معاني القرآن واعرابه : ٤١٩/١ ، وينظر : معاني الأخفش : ٣٦٦/٢.

[١٤٥] ينظر : التطور اللغوي (د. رمضان) : ٤٩-٥٠.

[١٤٦] معاني القرآن واعرابه : ١١٣/٣.

[١٤٧] المصدر نفسه : ٧١/٥.

[١٤٨] معاني القرآن واعرابه : ١٤٥/١.

[١٤٩] المصدر نفسه : ٢٩٢/١ ، وينظر : معاني الفراء : ١٧٢/١.

[١٥٠] معاني القرآن واعرابه : ٢٥٦/٢.

[١٥١] ينظر : الكتاب : ٤٣٣/٤ ، وسر صناعة الاعراب : ٤٦/١.

[١٥٢] ينظر : الأصوات اللغوية : ٨٩-٩٠.

[١٥٣] الكتاب : ٥٤٨/٣ ، ومعاني القرآن واعرابه : ٧٣/١.

[١٥٤] ينظر : معاني القرآن واعرابه : ٧٢/١ ، وينظر : شرح المفصل (ابن يعيش) : ١٠٧/٩.

[١٥٥] معاني القرآن واعرابه : ٧٢/١.

[١٥٦] المصدر نفسه: ٢٥٩/٢ ، وينظر : اتحاف فضلاء البشر : ٢٢٤.

[١٥٧] معاني القرآن واعرابه : ٢٦٦/٥.

[١٥٨] ينظر : الكتاب : ٥٤٢/٣.

[١٥٩] معاني القرآن واعرابه : ١٦٩/١.

[١٦٠] المصدر نفسه: ١٦٩/١.

[١٦١] ينظر : المصدر نفسه : ١٥٠/٢.

[١٦٢] ينظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها : ٧٣/١.

[١٦٣] ينظر : الكتاب : ٥٤١/٣-٥٤٢.

[١٦٤] ينظر : معاني القرآن واعرابه : ٩٤/٤.

[١٦٥] ينظر : السبعة في القراءات : ٣١٢.

[١٦٦] معاني القرآن واعرابه : ٣٥١/٢ ، وينظر : ١٥٩/٤.

[١٦٧] ينظر : الكتاب : ٥٥٠/٣.

[١٦٨] معاني القرآن واعرابه : ٧٧/١.

[١٦٩] المصدر نفسه: ٧٧/١.

[١٧٠] معاني القرآن واعرابه: ٧٧/١.

[١٧١] ينظر : الخصائص : ١٣٩/٢.

[١٧٢] ينظر : السبعة : ٢٢٧-٢٢٨.

[١٧٣] معاني القرآن واعرابه : ١٩/٢.

[١٧٤] ينظر : المختصر في شواذ (قراءات) القرآن : ٧.

[١٧٥] ينظر : المصدر نفسه : ٧.

[١٧٦] معاني القرآن واعرابه : ٥١/١.

[١٧٧] المصدر نفسه : ٢١/٤.

[١٧٨] المصدر نفسه: ٢٧٦/٣.

[١٧٩] معاني القرآن واعرابه: ١٧٧/٤.

[١٨٠] المصدر نفسه : ٣٠٥/٢.

[١٨١] المصدر نفسه: ١٠٤/١.

[١٨٢] الكشف عن وجوه القراءات السبع : ١٦٨/١.

[١٨٣] معاني القرآن واعرابه : ١١٣/١-١١٤.

[١٨٤] المصدر نفسه : ١٥٠/١.

[١٨٥] معاني القرآن واعرابه: ٢٥٣/٥.

[١٨٦] ينظر : معاني القرآن للفراء : ٩٥/١ ، ومعاني الاخفش : ٣٩/١.

[١٨٧] معاني القرآن واعرابه : ١١٤/١ ، وينظر : الكتاب : ١٢٨/٤.

[١٨٨] التشكيل الصوتي : ٤١.

[١٨٩] معاني القرآن واعرابه : ١٩٢/٢ ، وينظر : الكتاب : ١٣٧/٤.

This search you want it, to study aspects of the voice lesson cited by the glass (311 AH) in his book (the meanings of the Qur'an and expressing) and I determine its location in the vocal studies at the previous Arab scientists; to conclude clarify its importance in voice search when the ancient Arabs, and display opinion study where modern. Has motivated me to write this research: that the meanings of the Qur'an for glass in five parts offer many audio issues during the interpreted language, Quranic words, elected from the Holy Quran, and there is another reason for choosing this subject is that more studies on the impact of values meant side grammar in the meanings of glass; because it is a book Arbab and meaning as stated owner in the brief introduction, and according to my knowledge, the acoustic study at the Glass and other scientists who are familiar with the meanings of the Qur'an such as Abu Obeida (211 e), furs (207 AH) and Alokhvc (215 e), copper (338 AH) and others who did not reach us their compositions, was titled ((Voice term in the books of the meanings of the Qur'an)), Dr. Khalid Hazem iron, and researcher, enlightened as provided by this study value in the detection of voice lesson when the glass, but Dr. Khalid study of the works of several imposed upon the selection of texts in which the terms Terpd briefly, to demonstrate the concepts at every world income in his study, and it was a result that left many audio texts in the meanings of the glass and the meanings of copper; and the desire of a researcher at the completion of the study voice search when the glass in the sense in a comprehensive manner from the point of approach, and the statement of sources of acoustic study and terminology, and a statement exits Arab voices and has characteristics down to the transactional study acoustic phenomena in the meanings of the glass and replace diphthong and prod and follow the tilt, and other acoustic phenomena arising from the affected votes to one another in the series of words.

The research has yet offered to pave and two sections followed by a conclusion, in the boot knew the lives of the glass briefly, to his fame first and ensure that my predecessors in the study of glass and efforts in grammar, language this matter Second, then studied voice approach in the meanings of glass indicating acoustic study places with him, and the sources of voice studied and terminology, and in the first section, entitled (b exits sounds and characteristics) View Finder Description Glass said of exits sounds and characteristics, and the second section was in transactional acoustic phenomena cited by the glass in a sense, has meant researcher phenomena reasoned voice of them, to give them a description of the exits of sounds and qualities when Statement ills take place in the buildings of formulas, including: Substitution and slurring and insults in consonants, and followers, tilt in Voters, then sealed Find a conclusion which offered important findings of the research.